سلسلة الدراسات التاريخية (12)

# المهدي في لبب
## (دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية)

د. عوض شبا

2021

وحدة البحوث والنشر - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

المهدي في لبب - دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية - د. عوض شبا

ISBN 3-1-803-99988-978 ردمك

رقم الإيداع:0601/2021

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

سلسلة الدراسات التاريخية (12)

# المهدى في لبب

## (دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية)

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر
RSBCRSC

د. عوض شبّا

الطبعة الأولى 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر - السودان
962.4 عوض أحمد حسين شبا،1975 -
ع. أ.د
المهدى في لبب: دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية / عوض أحمد حسين شبا.- الخرطوم: دار أثيريا 2021
98ص؛ 24سم.- (سلسلة دراسات حوض البحر الأحمر)
ردمك: ISBN 978-99988-803-1-3
1- السودان - تاريخ - العصر الحديث - الثورة المهدية أ-العنوان ب-السلسلة

**فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان**

**الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021**

**تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي-السودان - الخرطوم**

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة الناشر

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القاريء الكريم:

سلسة دراسات دول حوض البحر الأحمر مجموعة من الإصدارات الجديدة والدراسات المختارة؛ وهي ثمرة التعاون بين دار آرثيريا للنشر والتوزيع ومركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.

هذه السلسة هي باكورة إصدارات دار آرثيريا للنشر والتوزيع من إعداد وإشراف وحدة البحوث والنشر بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر تضمنت عدد من الدراسات المختارة التى تطرقت لبعض قضايا البحر الأحمر المختلفة ونشرت في مجلات القلزم العلمية المتخصصة ، وكتب أخرى تناولت موضوعات دول حوض البحر الأحمر وخاصة السودان. ويسر دار آرثيريا للنشر والتوزيع أن تسهم في تفعيل الحراك العلمي والبحثي بنشرها لهذه الدراسات والبحوث المتنوعة لترفد به مكتبة دول حوض البحر الأحمر والمكتبة العالمية بعدد وافر ومميز من الكتب القيمة ، محققة بذلك شعارها المطروح(نحو نشر علمى رصين وهادف ).

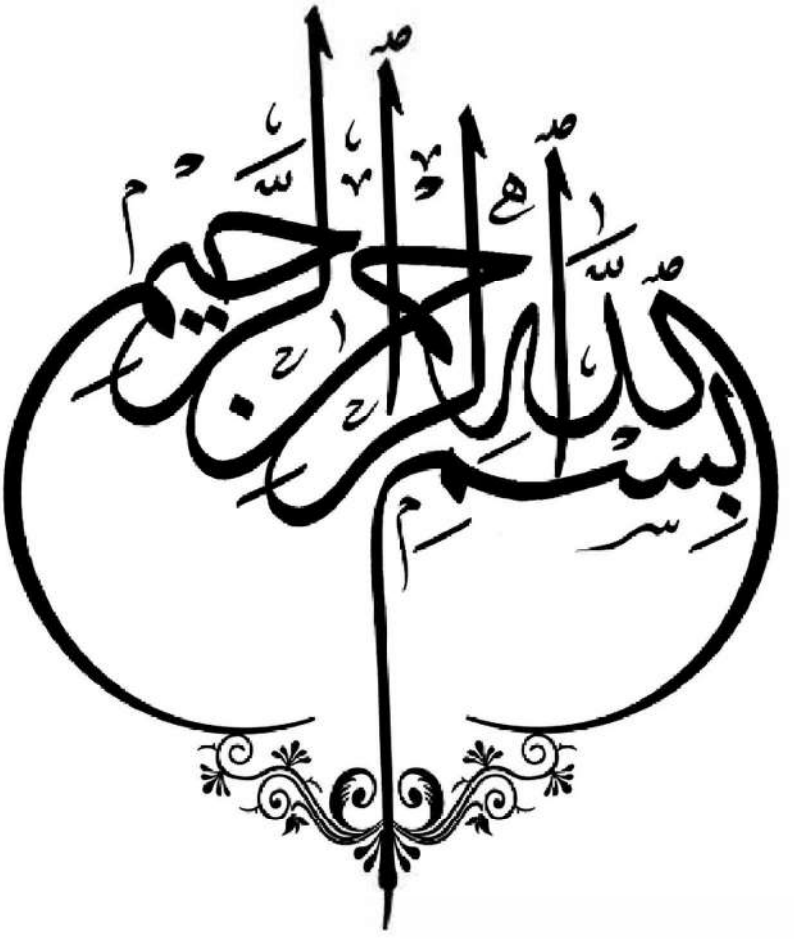
بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

أتوجه بالشكر والعرفان وكامل التقدير لكل الذين ساعدوني ولولا تعاونهم وتشجيعهم لما صدر هذا الكتاب، والشكر خاص لشركة نبتة للإنتاج الفني والإعلامي ومديرها الأستاذ/ سيف الدين حسن لرعايته لهذا المشروع البحثي وتقديم الدعم المادى والفنى اللازمين.

تقديراً وعرفاناً

# إهداء

أهدي هذا الكتاب ممتناً إلي...

أولاً : المكان .. مهد الحضارة السودانية

ثانياً: الإنسان .. ابن هذه الحضارة

# شهـــادة

« ... قلائـــل هـــم الزعمـــاء والقـــادة في هـــذا العالـــم الذيـــن أنجـــزوا مـــا أنجـــزه المهـــدي في مثـــل تلـــك الفـــترة الوجيـــزة. ففـــي غضـــون أربعـــة ســـنوات تمكـــن مـــن تحريـــر شـــعبه مـــن المصريـــين. كمـــا تمكـــن مـــن هزيمة البريطانيـــين. لقـــد أعـــاد شـــعبه إلي مـــا كان يـــري أنـــه الديـــن الإســـلامي الصحيـــح. كمـــا أنـــه بـــين كيـــف أن هـــذه العقيـــدة يمكـــن أن تكـــون فعّالـــة وماهـــرة بعـــد ســـبعين ســـنة مـــن الاســـتعمار الأجنبـــي أصبـــح الســـودان حراً مـــن جديـــد، كان المهـــدي ولا يـــزال بعـــد أكثـــر مـــن مائـــة عـــام عـــلى وفاتـــه بطـــلاً لـــدى شـــعبه. ودولـــة المهـــدي التـــي أسســـها يُنظـــر إليهـــا باعتبارهـــا عـــصراً ذهبيـــاً...»

(روبـــن نيلانـــد، حـــروب المهديـــة، ترجمـــة: عبـــد القـــادر عبـــد الرحمن، 2002م)

قال تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (247)

# المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| تقديـــم ..... | 11 |
| مقدمـــة الكتـــاب..... | 12 |
| مدخـــل..... | 16 |
| **الفصل الأول**<br>**منطقة لبب** | |
| لبب.. الاســم والموقــع..... | 23 |
| الأهمية الجغرافية والنشــاط الاقتصــادي ..... | 31 |
| **الفصل الثاني**<br>**البعد الحضاري والثقافي لمنطقة لبب** | |
| الكوة كمركز إداري ودينـــي ..... | 41 |
| مركز غرب لبب (ود نمـــيري) ..... | 45 |
| **الفصل الثالث**<br>**المُكوّن الاجتماعي والأسري** | |
| مجتمــع لبــب ..... | 57 |
| أسرة محمد أحمد المهــدي ..... | 60 |
| أوصاف محمد أحمــد المهــدي ..... | 66 |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| **الفصل الرابع**<br>**المُكوّن الديني** | |
| البُعد الدينـــي لمنطقة لبـــب ..... | 73 |
| شـــبهات حول المهدي ..... | 83 |
| الخاتمة ..... | 90 |
| المصادر والمراجـــع ..... | 94 |

# تقديم

إن هـذا الكتـاب يمثـل جهـد علمـي وفكـري مقـدر ومـن المأمـول أن يضيـف للمكتبـة العربيـة والسـودانية بصفـة خاصـة مرجعـاً مهمـاً وأساسـياً في العلـوم الاجتماعيـة والتاريخيـة، وهـي أحـوج مـا تكـون إليـه، لمـا حـواه مـن معلومـات عمـل المؤلـف عـلى تحليلهـا بمنهـج علمـي رصين أضـاءت الطريـق، وأبـرزت المؤثـرات البيئيـة والشـخصية التـي شـكلت بنيـة شـخصية المفكـر والقائـد الثائـر الإمـام محمـد أحمـد المهـدي والتـي أغفلتهـا معظـم الدراسـات التـي تناولـت سـيرته.

اعتمـد المؤلـف عـلى المنهـج التاريخـي التحليـلي التتبعـي، إضافـة إلي اسـتنطاق المصـادر والروايـات والسـير الذاتيـة بالتركيـز عـلى الفرضيـة الأساسـية التـي تبحـث عـن المؤثـرات الثقافيـة والاجتماعيـة التكوينيـة لمنطقـة لبـب (الكـوة) عـلى شـخصية الإمـام محمـد أحمـد المهـدي حيـث كان لأسرتـه مركـزاً دينيـاً مرموقـاً بـدأ واضحـاً في منطقـة لبـب، إضافـة إلي امتهانهـا لمهنـة ذات بُعـد اجتماعـي واقتصـادي لهـا أهميتهـا في المنطقـة هـي صناعـة المراكـب (البصـير).

إن أهميـة الموقـع الجغـرافي الاسـتراتيجي لمنطقـة ومـا يمتـاز بـه مـن نشـاط بـشري وزراعـي وديني وتجـاري كان لـه أثـره في تنميـة وبنـاء شـخصية الإمـام المهـدي؛ ممـا دفعـه إلي ارتيـاد درّج القيـادة بسـهولة ويـسر لتفهمـه لطبيعـة مجتمعـه المسـتقر الـذي تـشرب قيمـه ومثلـه وأصبحـت موجـه لسـلوكه المعتـدل الـذي يمثـل قـدوة يقتـدي بهـا لّمـا كان يتـم فيـه مـن تفاعـل اجتماعـي واقتصـادي وديني.

وخلاصـة القـول إن هـذا تنـاول في مضمونـه قضيـة تاريخيـة واجتماعيـة مهمـة تستكّشـف أثـر البيئـة الطبيعيـة والثقافيـة في بنـاء وتنميـة الشـخصية الإنسـانية السـوية للإمـام محمـد أحمـد المهـدي والتـي أغفلتهـا معظـم الروايـات التاريخيـة.

د. الطاهر مصطفي محمد صالح_ جامعة أفريقيا العالمية

## مقدمة الكتاب

جاءت فكرة هذا الكتاب بمبادرة من الأخ مع المخرج السينمائي/ سيف الدين حسن – وهو من أبناء منطقة لبب - أثناء تحضيري للمادة العلمية لأحد أفلامه الوثائقية ضمن سلسلة أفلامه الموسّومة بالسودان أرض السمر، وقد وجدت هذه الفكرة هوي في نفسي لأنها توافقت مع اهتماماتي كدارس لتاريخ وثقافة منطقة دنقلا، فبدأت أجمع بعض المعلومات الأولية عن الموضوع، وتصادف في ذات الوقت أن تم الإعلان عن مؤتمر للدراسات المهدية - وكأنه قدر مسطر لتحفيزي-، فقدمت ورقة علمية في المؤتمر الأول للدراسات المهدوية بجامعة الإمام المهدي (22-24/11/2016م) بعنوان: (منطقة لبب وأثرها الثقافي والاجتماعي على شخصية محمد أحمد المهدي)، وشكلت هذه الورقة النواة الأساسية لهذا الكتاب بعد إعادة هيكلتها وإضافة بعض المعلومات التي رأينا أنها ضرورية،ثم تطورت الفكرة إلى دعم مادة الكتاب بصور فتوغرافية ، مَما تطلب مني الذهاب إلى منطقة لبب مع الفنان والمصور الفوتوغرافي المحترف سليمان متوكل.

يهدف هذا الكتاب بصورة أساسية إلى تقديم إضاءة حول الأثر الثقافي والاجتماعي لمنطقة لبب مكان نشأة الإمام محمد أحمد المهدي في تكوين شخصيته لأن الشخصية في أبسط تعريفاتها: هي المحصلة النهائية لتفاعل العديد من العوامل والمؤثرات التي أثرت وتؤثر في الفرد منذ اللّحظة الأولى التّي تم فيها عملية الإخصاب في رحم الأم وخلال مسيرة حياته وحتى موته، بمعنى أن الإنسان هو ابن البيئة والوراثة[1]، كما أن الطفل يتعلم فيما بين الثانية والسادسة من عمره كيف يقيم علاقاته الاجتماعية مع أقرانه ومع الآخرين خارج نطاق العائلة، وقد بيّنت إحدى الدراسات التتبعّية لمجموعة من الأطفال، أن السلوك والاتجاهات الاجتماعية التي تكونت لدى الطفل خلال هذه الفترة المبكرة من عمره تستمر وتبقى ثابتة مع قليل من التَغيّر[2].

هذه الفترة المهمة من عمر محمد أحمد المهدي - ما بين الثانية والسادسة*- هي المستهدفة بالدراسة والتحليل فى هذا الكتاب،

وهي الفترة التي ولد فيها محمد أحمد في جزيرة لبب وتربى فيها قبل هجرته جنوباً مع أسرته واستقرارهم في كرري.

إن أهمية هذه الدراسة تنبع من كوّنها إهتمت بجانب غير مطروق في الدراسات المهدوية لأن معظم هذه الدراسات تركّزت حول تاريخها السياسي والاقتصادي، وبعض الجوانب الاجتماعية، وقد أشار إلى ذلك القدال معاتباً الباحثين بقوله: «فحياة محمد أحمد تبدأ عندهم بإعلان المهدية في عام (1881م) وهو محط اهتمامهم. فأهملّ أمر حياته الأولى إلى ما كان له ارتباط مباشر بأمر المهدية. وأحياناً كانت يد التاريخ تلوي ليتم القفز إلى استنتاجات تنسجم مع دعوة المهدية التي ظهرت لاحقاً في حياته...»[3]، وإلي ذات الموضوع نبه أبو سليم الباحثين إلى ضرورة إجراء المزيد من الدراسات عن حياة محمد احمد المهدي الأولي وإلى إبراز الظروف الذاتية التي جعلته دون غيره قائداً ملهماً للثورة المهدية(4).

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مع الاستفادة من بعض نظريات علم الاجتماع والنفس المتعلقة بدراسة نمو وتطور أنماط الشخصية، واستعنا بالمصادر والمراجع المتوفرة التي تناولت موضوع الدراسة، وعلى الزيارة الميدانية لمنطقة لبب إلى جانب الروايات الشفوية*، التي عولّت عليها كثيراً في ترّجيح بعض الروّايات التاريخية،وفي إضافة بعض المعلومات التي رأيت أنها مهمة. وقد قمت بالالتزام قدّر المستطاع -في هذا الكتاب - على الفرض الأساسي وهو البحث عن المؤثرات الثقافية والاجتماعية لمنطقة لبب على شخصية الطفل محمد احمد المهدي،دون الخوض في الجوانب المتعلقة بالثورة المهدية وتداعياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية،لذا كان تركيزنا على أربعة محاول رئيسية وهي:

- أولاً: المكونّ الجغرافي والطبيعي .
- ثانياً: المكوّن التاريخي والثقافي.
- ثالثاً: المكوّن الاجتماعي والأسري.
- رابعاً: المكوّن الديني.

وختاماً أتمني أن تكون هذه الدراسة إضافة مفيدة للمكتبة السودانية ومّحفز للباحثين السودانيين لإجراء مزيد من الدراسات حول شخصية الإمام المهدي والشخصيات السودانية الأخرى , ولايفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل الذين قدموا لي المساعدة في جمع هذا الكتاب وإعداده وأخص بالشكر

- الدكتور الطاهر مصطفي الذي راجع المادة العلمية للكتاب، وشرفني بالتقديم له.
- الدكتور الفاضل محمد خير لتعاونه الكامل وتشجيعه المستمر، وشكري موصول للأخوة أعضاء مجموعة تاريخ لبب (في الواتساب) الذين رفدوني بالكثير من المعلومات المهمة.
- كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأهل في منطقة لبب الذين استضافوني وأعانوني بالكثير من الإفادات التاريخية.

.

**عوض شبّا**

**الحاج يوسف/ الخرطوم**

**22 نوفمبر 2017م**

## حواشي وهوامش مقدمة الكتاب:

(1) مجيد محمد عارف، الأنثربولوجيا التربوية، (بغداد، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م)، ص 14

(2) سهام علي الجميلي، علم نفس الطفولة (بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، هيئة المعاهدة الفنية، 1990م) ص 148

* تضاربت الآراء حول تاريخ هجرة أسرة المهدي إلى كرري وعمر محمد أحمد آنذاك لمزيد من التفاصيل راجع: محمد سعيد القدال، الإمام المهدي محمد أحمد بن عبدالله (1844-1885م) لوحة لثائر سوداني، (الخرطوم، مطبعة جامعة الخرطوم، 1985م)، ص 25-30، وهنا أشير إلى رواية _ شاذة_ أوردها إبراهيم فوزي تقول أن الهجرة تمت ومازال محمد أحمد رضيع لم يبلغ عمره ثلاث شهور (راجع: إبراهيم فوزي باشا، السودان بين يدي غردون وكتشنر، تقديم: عبد الوهاب بكر، ج1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2008م).

(3) نفس المرجع، ص 29

- لتسهيل عملية جمع المعلومات وتدوينها تم إنشأ مجموعة في الواتساب تعني بتاريخ لبب ( بتاريخ 2016/6/9م ) تضم عدد من أهم الباحثين والمهتمين والرواة ونشير إليه بمجموعة تاريخ لبب.

(4) محمد إبراهيم أبو سليم،الحركة الفكرية في المهدية،(الخرطوم:دار جامعة الخرطوم لنشر،1970م)،ص12.

# مدخل
# تهارقا والمهدي
# شخصيتان قائدتان من زمنين

هنالك الكثير من الخصائص والسّمات الشخصية، والتشابه في ظروف النشأة تجمع بين شخصيتين سودانيتين فذتين، كان لهما أثراً بيناً في تاريخ السودان القديم والحديث هما ترهاقا والمهدي، وتجدا تقديراً خاصاً لدى منذ أن بدأت أنقب باحثاً في تاريخ السودان، لذا رأيت أن أحاول تقديم ملاحظات أولية محاور مجملة حول الملامح الأساسية والقواسم المشتركة بينهما والتي شكلت هاتين الشخصيتين العظيمتين القائدتين كمدخل لهذا الكتاب.

إن أولى هذه الملاحظات والجديرة بالاهتمام أن كل من تهارقا والمهدي كانا يتيمّين وفي نفس السن تقريباً توفى والديهما، حيث ولد الملك تهارقا (سنة 722 ق. م) وتوفى والده بيي (بعانخي) سنة (716 ق. م) وكان عمره حين ذاك حوالي ستة أعوام[1]، أما المهدي فقد ولد في أرجح الأقوال (سنة 1844م)، وتوفى والده (سنة 1850م) تقريباً أي كان في نفس عمر تهارقا (راجع متن الكتاب)[*]، ولعل لليتّم أثر بالغ في تكوين الشخصية، وقد عبّر عن ذلك تشرشل خير تعبير في حديثه عن المهدي:» ....كان والده رجل دين متواضعاً، ومع ذلك فقد جاهد ليوفر لإبنه قدراً من التعليم في الممارسات الدينية ومبادئ القرآن وفن الكتابة. ثم مات في كرري أثناء رحلة له إلى الخرطوم، وترك مهدي المستقبل وهو طفل، تحت رحمة العالم. إن الأشجار المتوحدة، إن نمت أصلاً، تنمو قوية. إن صبياً حرم من رعاية الأب، تنمى لديه عادة – إن أفلت من مهالك الشباب – استقلال قوة التفكير الذي يُعّوض فيما بعد الحياة الخسائر في الأيام الأول. كذلك كان الحال مع محمد أحمد...»[2]، وقد عنى بالإثنين إخوتهما خير عناية وأولياهما أفضل اهتمام، يقول تهارقا _في لوح الكوه 5 سطر 14_: «إنه حضر لمصر من السودان في معية إخوة الملك شبتاكا

الذين استدعاهم شبتاكا ليكونوا بجانبه لأنه يحبه أكثر من إخوته بل ومن أبناءه ...»[3].

يقول الحسن أحمد عن شخصية الملك تهارقا الدينية: «طغت شخصية تهارقا الدينية على ما عداها من الشخصّيات التي ميزت هذا الملك عن من سواه من الملوك السودانيين فقد كان دائم الحرص على إرضاء الآلهة والإله آمون على وجه الخصوص وظل يفخر بهذا الحرص ويكرر ذكره في كل نقش خلفه، فحين حضوره من السودان إلى مصر لأول مرة وهو فتى صغير لم يتسنى له أن يمر بمعبد الإله آمون بالكوة ويصور لنا كيف أن قلبه أصبح حزيناً على الحالة التي وجد عليها المعبد مهملاً، غطته الرمال إلى سقفه، ثم في ذات اللوح (السطر Kawa IV– 17)، يعلن للملأ من شعبه عن نيته لإعادة بناء المعبد من الحجر الأبيض الجميل وأسماه ببيت أبيه آمون رع (جم آتون) وقد كرس مواضيع خمسة ألواح حجرية نصبها بهذا المعبد تصب كلها حول بناء وتأثيث وافتتاح هذا المعبد مع بعض الإشارات إلى علاقاته الأسرية والمناسبات السعيدة التي حدثت في عهده بفضل والده الإله آمون رع...»[4]، ومعلوم لدينا الشخصية الدينية الطاغية للمهدي والتي فصلناها في متن هذا الكتاب، ولكن ما أود الإشارة إليه هنا هذا التوافق الغريب بين الشخصيتين وارتباطهما الكبير بمنطقة الكوة (لبب) – النطاق الجغرافي لهذه الدراسة- التي كانت من أهم المراكز الدينية منذ احتلال الدولة المصرية الحديثة للسودان (1500 ق. م) وربما قبلها، وظل إشعاعها الديني مستمراً حتى بعد التحول الديني للإسلام، فكانت من أهم المراكز الدينية الإسلامية في السودان وكانت أسرة المهدي من أهم الأسر الدينية فيها.

ويشترك الإثنان أيضاً في السّمات الجسدية - وهنا نعني التكوين الجسماني للشخص أو الصفات الجسدية – دور كبير في مكونات الشخصية ومدى تأثيرها على الآخرين حيث المظهر الخارجي وعظمه تضفي جاذبية وقوة على شخصية الفرد وقد أشار القرآن الكريم إلي شرطين مهمين من ضمن الشروط التي يجب توفرها في الشخصية

القيادية وهما: العلم والتكوين الجسماني، قال تعالي في وصف طالوت (**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ....**)[5]، ولقد تميز المهدي بضخامة الجثة وشخصية خارجية جاذبة ومؤثرة كما ورد في أوصاف الذين شاهدوه (راجع متن الكتاب) ، وكذلك وصف تهارقا بأنه ضخم الجثة عالي القدر كان يفتخر بقوته الجسدية وعظم حجم قدميه[6]، وواضح ذلك من خلال تماثيله المنظورة، ولعل هذه الكاريزما التي كانت السمات الجسدية -أحد العناصر المكونة للشخصية- دور كبير في تدعيم صورة الشخصية القائدة للمهدي وهو في الثلاثينيات من عمره، وكذلك لوصول تهارقا لسدة الحكم في زمن مقارب في الثاني والثلاثين من عمره عام 690 ق.م[7].

وأخيراً يجب أن نضع في حسباننا اختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية للفترتين والتي تتجاوز ألفا عام من الزمان، كما يلاحظ سيادة مفهوم الاستخلاف والتمكين في الأرض وعدم الاعتراف بالحدود الجغرافية لدى الشخصيتين ، وإن كان من ملمح خاطف خاتم فإن إشارات وردت في كتاب العهد القديم توصف الملك تهارقا بأنه منقذ الشعب العبراني من سطوة الآشوري، - حكام بابل – الذين وصلوا أبواب أورشليم[8]، وكذلك لقب محمد أحمد بالمهدي أي المنقذ.

## حواشي وهوامش المدخل:

- إن سنحت لنا الفرصة في مقبل الأيام ومد الله في أعمارنا سنفصل في هذا الموضوع.

(1) سامية بشير دفع الله، تاريخ مملكة كوش (نبتة ومروي)، ط2، (الخرطوم، 2005م)، ص 60 – 74.

- نحيل القارئ هنا إلى متن الكتاب فيما يخص المعلومات الواردة عن المهدي.

(2) ونستون تشرشل،تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، ترجمة: عز الدين محمود، (القاهرة: دار الشروق، 2006م).

(3) سامية بشير، المرجع السابق، ص 67.

(4) الحسن أحمد محمد الحسن « آثار الملك تهارقا في وادي النيل (690 – 663 ق. م)»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الخرطوم 2007م، ص 250.

(5) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (247).

(6) الحسن أحمد محمد، المرجع السابق.

(7) سامية بشير المرجع السابق، ص 74.

(8) الكتاب المقدس، سفر أشيعيا، الإصحاح (37)

# الفصل الأول

# منطقة لبب

# الفصل الأول
# منطقة لبب

## تمهيد:

ولد الإمام محمد احمد المهدي في جزيرة لبب،جنوب مدينة دنقلا (الاوردي)*،لذا كان من الضروري التعريف بهذه المنطقة–تمهيداً لهذه الدراسة - وبيان دور البيئة الطبيعية والاقتصادية المهم في تشكيل الشخصّية، ولأن أهمية أي منطقة ترجع إلى موقعها وسمّاتها الجغرافية التي تميزها عن غيرها من المناطق، فإننا سنركز في هذا الفصل على الموقع الجغرافي لمنطقة لبب وأهميته وأهم الأنشطة الاقتصادية دون الخوض في التفاصيل الجغرافية، لأن معظم أجزاء دنقلا، وهى المنطقة النيلية الممتدة مابين الشلالين الثالث والرابع، تشترك في خصائصها الجغرافية العامة، التي تتميز بمناخها الصحراوي القاري.

## لبب.. الاسم والموقع:

إن النطاق الجغرافي لهذه الدراسة هو مكان ميلاد محمد أحمد المهدي وما حولها لأننا لا نستطيع أن نتحدث عن جزيرة لبب كبقعة منفصلة عن محيطها الجغرافي ووحدتها الاجتماعية، وعمقها التاريخي والثقافي، لذا أطلقت على هذا الموقع الجغرافي اسم منطقة لبب لسببين:

**الأول**: إن لبب كانت من أهم المراكز الإدارية والتجارية في فترة مملكة المقرة المسيحية، يدلنا على ذلك ثراء موقعها الأثري بمكوناته المختلفة(لبب غرب وقلعة ود نميري)، ومن قبلها موقع الكوة الشهير بالضفة الشرقية للنيل.

**الثاني**: الثقل الديني لجزيرة لبب في الفترة الإسلامية وأهميتها كمركز للإشعاع الديني، فضلاً عن كونها مكان لميلاد محمد احمد المهدي أشهر أعلام السودان في العصر الحديث فوجد اسم لبب شهرة كبيرة أكثر من غيرها من الأسماء.

أما اسم لبب فقد اجتهد عدد من أبنائها لمعرفة معناه ودلالاته، وتشير معظم اجتهاداتهم وتخريجاتهم اللّغوية إلى أن لبب كلمة عربية الأصل وتعنى في بعض معانيها السعة والخصب والنماء، وكذلك الرمال الناصعة البياض، وأن هذه المعاني تنطبق على جزيرتهم من حيث وفرة الخيرات بها، وكذلك وجود الرمال الناصعة في أطرافها وأثناء تكونها،ولعل السبب في هذا الربط وجود هذه الكلمة في معاجم اللّغة العربية بهذه المعاني فمثلاً جاء في لسان العرب:» ولببُ رخي أي في سعة وخصب وأمن. واللِّببُ من الرمل: ما أسترق وانحدر من مُعظمه،فصار بين الجلد وغلظ الأرض؛ وقيل لببُ الكثيب: مُقَدمه، قال ذو الرمة:

براقة الجيد واللَبات واضحةٌ،

كأنها ظبية أفضى بها لبب ...»[1]

أظن إن الافتعال واضح في هذا التخريج رغم أن من المسوّغات التي ذكرت فى ذلك منها أن حاج شريف أول من دخل إلى هذه الجزيرة بعد تكونها ،وكان عالماً باللغة العربية فأطلق على الجزيرة هذا الاسم، وسبب قولي هذا أن كلمة لبب غير متداولة في منطقة دنقلا، كما أن هذه الجزيرة في بعض الروايات كانت تعرف بنافا نارتى، أي جزيرة نافا باللغة الدنقلاوية. وكان من حكام المنطقة، [2]* ولدي ميل كبير إلى أن أصل هذه الكلمة محلية مُستمدّة من لغة_ مروية أو نوبية_ وثقافة وبيئة المنطقة، وخاصةً أن معظم الأسماء الجغرافية في المنطقة نوبية دنقلاوية، وربما كان لكلمة لبب صلة بكلمة آب وتعنى انحدار الشاطئ (القيف)، أو من لبلاب أسم شجرة متسلّقة تنمو على شواطئ النيل أو داخل الجزر ومن المحتمل أن لبلاب حُرفّت إلى لبب، وقد تتعدد التخريّجات وهو مجال خصب لإبداء الآراء ،وقد اشتهر السودانيون والنوبيون بصفة خاصة بكثرة

التخريجات للأسماء الجغرافية، مما لفت إنتباه بعض الباحثين ومنهم محمد جلال هاشم لوضع عدة ضوابط وقواعد لتفسير الاسم الجغرافي بعد أن بين أهمية علم الأسماء الجغرافية من الناحية الثقافية وارتباطه بالهُوية وبسيادة الدولة قائلاً:»هنالك عدة محاذير ينبغي للباحث قبل أن يصدع بأي تفسير يخص معنى الاسم الجغرافي . أول هذه المحاذير التأكد من اللّغة الأصلية التي عبرها سُّك الاسم بادئ ذي بدء؛ المحذور الثاني هو التأكد ما أمكن من النطق الحالي للاسم وليس النطق المتحَور لاحقاً ؛ المحذور الثالث أن يستند في تحليله وتفسيره للاسم الجغرافي على بَينات خارج ذهنه،إذ لا مجال لإعمال الفكر إلا في هذه البينّات.فإذا لم يستطع الباحث إلى أي من هذه المحاذير سبيلاً، وجب عليه أن يقدم تحليله على إنه لا يعدو كونه تخميناً،وليُكثر في استخدام مفردات الشك المنهجي من << لعل >> و<< ربما>> «.[3]

أما موقع منطقة لبب فهي تمتد على النيل بمسافة تتراوح ما بين (20-25 كلم) تقريباً، وتتوسط إقليم الدناقلة الذي يمتد ما بين بلدتي الدبة وأبو فاطمة[4]، وتمثل حالياً من الناحية الإدارية، المنطقة الجنوبية لمحلية دنقلا، وتضم هذه المنطقة عدة قرى من الشمال إلى الجنوب، ففي الضفة الغربية للنيل قرى سورتود، لبب غرب، ودنميري والصحابة، وفي الضفة الشرقية قرى الكوة، تمنار، وادي حلفا، لبب شرق وجرتود، وبينهما عدة جزر متوسطة المساحة مقارنة بالجزر النيلية المنتشرة في إقليم الدناقلة، وأقدمها جزيرة نافا (نافا نارتي) ومعها جزيرة أبو تركي وهو شقيق نافا، كما تشير الروّايات[5]، وكانتا تكونان جزيرة واحده، والتي اشتهرت فيما بعد بجزيرة لبب، وشمالها جزيرة درار، وهو أبن أخ ود نميري صاحب

القلعة (الدب)[4] -وهم ملوك المنطقة- وإلى الشمال من جزيرة درار تقع جزيرة العمدة (عمدة نارتي)، وهي تابعة لوادي حلفا حيث مقر آل شمد عُمَّد المنطقة، إبان فترة الإدارة الأهلية، وشمالها تقع جزيرة منقلك (منقلك نارتي)، وهي آخر الجزر التي تكونّت في النصف الثاني من القرن الماضي، كما أشارت بعض الروايات[6]، وفي مرحلة لاحقة التحمت هذه الجزر مع بعضها لتكّون جزيرة واحدة، قد تفصل بينهما مجاري مائية أثناء الفيضانات الكبيرة، وكذلك التصقت هذه الجزر مع الضفة الشرقية للنيل (لبب شرق)، لذا يصح من الناحية الجغرافية أن نطلق عليها اسم شبه جزيرة لبب، أما جزيرة سلنارتي، عرفت بعدة أسماء _وهي الجزيرة الوحيدة المنفصلة تقع في الناحية الجنوبية_، منها جزيرة درار الصغيرة، وكلهول نارتي (جزيرة الديك) واشتهرت أخيراً بجزيرة ود نميري* منها؛ وعندما انتقلت أسرة حاج شريف إلى جزيرة لبب (نافا نارتي) اشتهرت هذه الجزر باسم جزيرة الأشراف (خريطة رقم(1)).

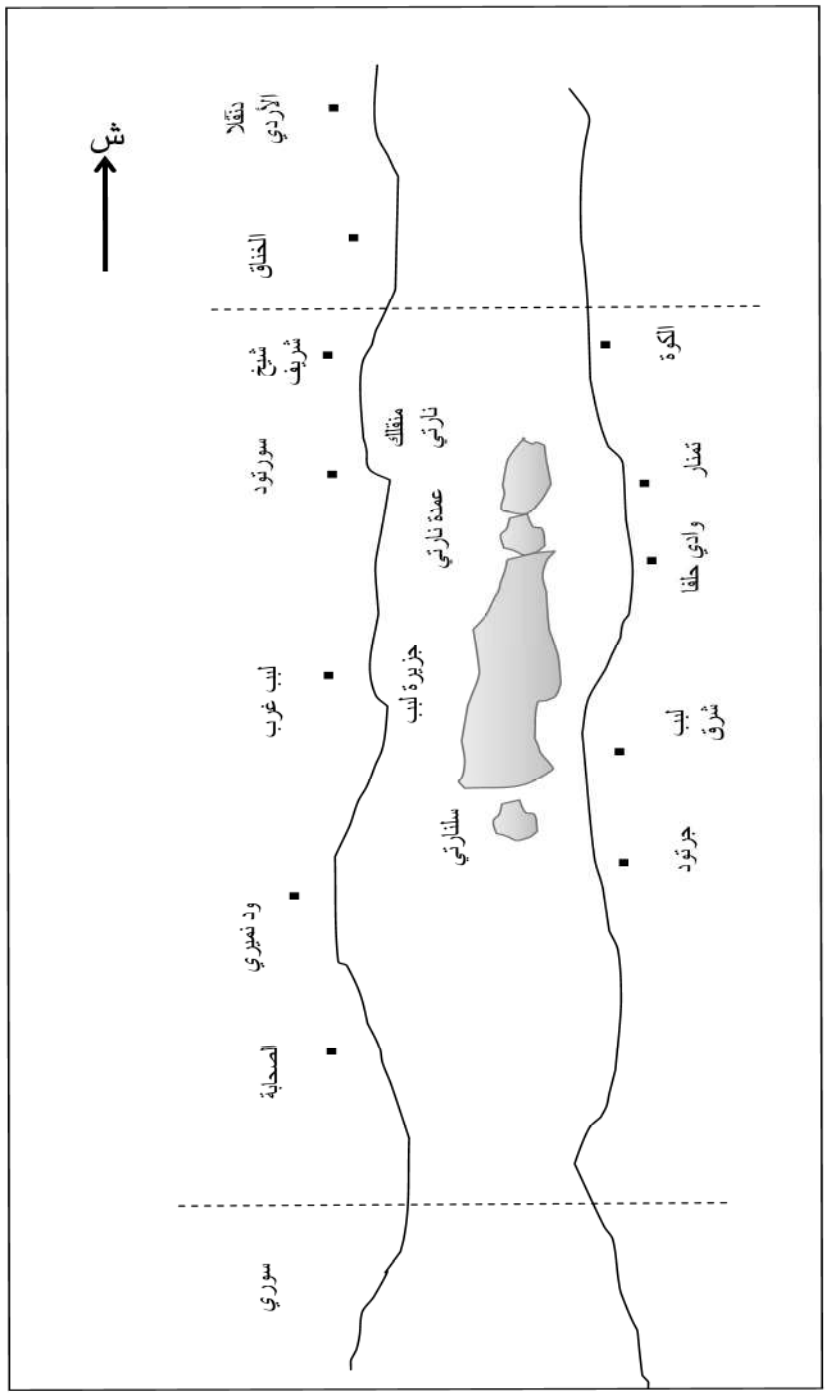


خريطة (١)
خريطة تقريبية توضح منطقة لبب

أما من ناحية التكوين الطبيعي لسطح التربة نلاحظ اختلافاً كبيراً ما بين شرق النيل وغربه حيث تحد المنطقة وقراها من الناحية الغربية هضاب صخرية صغيرة، في الغالب، تكثُر على سطحها الحصى وتنحدّر ناحية نهر النيل، وتتخللها بعض الأودية الصغيرة، أو قل ممرات؛(صورة رقم(1)).

**صورة رقم(1)**

**توضح طبيعة الأرض غرب النيل (لبب غرب)**

وتتميز طبيعة الأرض في الناحية الشرقية للنيل بأنها تربه طينية تغطيها الرمال الزاحفة من الشرق والتّي وصلت حتى نهر النيل في بعض الأماكن، نتيجة للزحف الصحراوي الذي كان له أثر كبير في انتقال السكان من الشرق للغرب (صورة (2)).

**صورة رقم (2)**

**توضح الزحف الصحراوي على الجزيرة من ناحية الشرق**

أمـا تربـة الجزيـرة والجـروف فهـي تربـه خصبـة جـداً، وتحتوي عـلى نسـبة عاليـة مـن الغريـن (الطمـي) الـذي يتجـدد سـنوياً نتيجـة للفيضانات،(صـورة رقـم (3)).

**صورة رقم(3)**

**توضح شكل التربة داخل الجزيرة**

وكانت الفيضانات الكبيرة، مثل فيضانات(1946م) وآخرها(1988م)أحد أسباب خروج السكان من الجزيرة إلى شرقها وغربها (صورة رقم(-4 5)).

صورة رقم (4)
توضح طرق انتقال سكان لبب غرب من والي الجزيرة

صورة رقم(5)
توضح بوابة أحد المنازل القديمة في لبب غرب

## الأهمية الجغرافية والنشاط البشري:

تقع منطقة لبب داخل النطاق الجغرافي لإقليم دنقلا- كما بّينا ذلك له - والذي يتميز بالمناخ الصحراوي القاري شديد الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء، حيث تندر الأمطار نتيجة لبعد المسطحات المائية مما أدى إلى قلة النباتات الطبيعية خاصة كلما اتجهنا شمالاً، ولكن يلاحظ أن النباتات التّي تنمو على طول امتداد النيل أكثر غزارة نسبياً[7]، ولما كان النشاط الاقتصادي هو العمود الفقري لازدهار وتطور أي مجتمع فإننا في هذا الجزء سنركز جهدنا في توضيح أهم الموارد الاقتصادية لمنطقة لبب، والتي تمثلت بصورة رئيسة منذ القدم في التجارة والزراعة وبعض الأنشطة الأخرى التي تلائم ظروف البيئة.

## التجارة:

تحتل المنطقة موقعاً تجارياً مهماً لأن أبرز ممّيزات مجرى نهر النيل في إقليم دنقلا أنه يغُير مجراه من الجنوب إلى الشمال في شكل نصف دائرة تقريباً من المنطقة أبي حمد يتجه غرباً حتى منطقة الدبة ثم يعود للإتجاه شمالاً، ويترتب على هذه الإنحاء تغيراً جغرافياً بحيث تتقارب المسافة بين إقليم دنقلا وغرب السودان الذي جعل مورداً تجارياً مهماً ترفد مملكة المقرة بالعبيد – في الغالب - الذين كانوا يرسلون إلى مصر حسب اتفاقيه البقط، التي كان من ضمن شروطها إرسال (360)عبداً إلى مصر سنوياً*؛ فكانت من المواقع المهمة قلعتي الخندق وود نميري (لبب غرب) لتجميع العبيد، ثم صارتا من المدن أو الأسواق الرئيسية لتجارة الرقيق، كما ساعد موقع قلعة لبب في تسهيل وحماية عملية تجارة الإبل القادمة من مدينة أم درمان لقربها من القعوب[8]، ويعتبر موقع لبب من المراكز المهمة في التجارة النيلية عبر المراكب الشراعية الكبيرة من الشمال والجنوب، وخاصة إن نهر النيل في هذا الإقليم بصوره عامة يتميز بسهولة الملاحة وخلوه من الجنادل[9]كما كان لكل قرية سوق محلي

في الغالب له يوم محدد في الأسبوع(صورة رقم (6)).

**صورة رقم (6)**
**توضح ملامح سوق الخناق القديم**

## الزراعة:

تعتبر الزراعة هي النشاط الاقتصادي السائد في معظم إقليم دنقلا ويمثل مصدر الدخل الرئيس للسكان وكانت الزراعة تعتمد في السابق على الري الشادوف والساقية وبعد التطور الصناعي الذي حدث في العالم استخدمت الطلمبات الحديثة للري ومؤخراً أستخدم الكهرباء، ومن أهم المحاصيل النقدية في المنطقة النخيل وكذلك تزرع المحاصيل في دورتين زراعيتين رئيسيتين هما الموسم الشتوي ويزرع فيه القمح والفول المصري والموسم الصيفي،وأهم محاصيله الذرة،وكذلك تُزرع الأعلاف كغذاء للماشية، وأهمها الأبقار والماعز والضأن ويستفاد منها في الألبان واللحوم وكذلك الإبل والحمير للنقل (صورة7، 8، 9) وساهم الوافدين إلى المنطقة وخاصة من مصر في إدخال وتطوير زراعة الخضروات مثل البامية والملوخية والقرع والبصل ، كما يلاحظ إن هناك نوع من الاتجاه إلي زراعة الموالح وبعض أشجار المانجو.

صورة رقم (7)

صورة رقم(8)

صورة رقم (9)

صور توضح جانب من النشاط الاقتصادي التقليدي

وعموما يعتبر الاقتصاد الزراعي في المنطقة اقتصاد معيشي وعند ازدياد عدد السكان مع ضيق الأراضي الزراعية تحدث هجرة طوعية للبحث عن مصادر للرزق إلى مناطق السودان الأخرى،وإلى الدول المجاورة وكانت لهذه الهجرات آثاراً ثقافية واجتماعية مهمة في المناطق التي هاجر إليها سكان المنطقة الذين يحملون إرثاً ثقافياً تراكمياً ، وفي ذات الوقت عندما يعودون يكونوا قد اكتسبوا ثقافات آخري .

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى والتّي صاحبت التطور الاقتصادي في المنطقة بشقيه التجاري والزراعي الصناعات الحرفية كصناعة السواقي والمراكب التجارية والأدوات الزراعية والحدادة وغيرها،وهنا نشير إلى أُسرة الإمام محمد احمد المهدي التي كانت من أشهر الأُسر التي امتهنت صناعة المراكب في المنطقة.

## خلاصة:

إن موقع منطقة لبب وأهميته الجغرافية الذي جعلت المنطقة إحدى أهم المراكز التجارية، ومكاناً لتلاقح الثقافات ثقافات الجماعات البشرية الوافدة والمحلية والجماعات البشرية،أسهم بدور كبير ومهم في تحديد وتشكيل شخصية إنسان المنطقة ومجتمعه، وكذلك كان النشاط الاقتصادي الزراعي المستقر والأمن الاجتماعي كان متعاظم في تكوين شخصية مجتمع المنطقة المتصالحة والمعتدلة المزاج، كما كان لمهنة النجارة التي امتهنتها أُسرة المهدي اثر واضح في تكوين شخصية محمد احمد المهدي(راجع: الفصل الثالث)إلي جانب الميزّات الأخرى المذكورة كمحددات ومكونات للشخصية في المنطقة.

## حواشي وهوامش الفصل الأول:

- دنقلا (الأوردي) هي العاصمة الإدارية للولاية الشمالية واشتهرت بهذا الاسم لأنها كانت مركزاً عسكرياً للجيش التركي وكان بها أورطة فحرفت إلى أوردي وذلك لتمييزها عن دنقلا عاصمة مملكة المقرة المدينة التاريخية .

(1) إبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب،(بيروت:دار صادر للطباعة والنشر 1990م) ط1،يج،ص731.

(2) محمد سعيد احمد عبد الله ،من تاريخ منطقة دنقلا ،مطبوع على الآلة الكاتبة ، 1978مص 69 71- .

- تذكر رواية محمد سليمان سعيد ( مجموعة تاريخ لبب ):» إن مؤسس جزيرة درار هو الملك درار،ولم يكن له ولد يرثه،فقسّم ما يملكه على إبنتيه نافلى ودرمود فأخذ الاشراف والخناقية نافلي والشرباشية درمود والملك»،وفي رواية الفاضل محمد خير(مجموعة تاريخ لبب ):» درار كافر سمعنا بها كثيراً ،وكافر مقصود به(على الأرجح) النصراني ..»، وقد جاء في كتاب من تاريخ منطقة دنقلا: «يقال أن النصراني الذي كان يحكم في هذه المنطقة كان له عدد من الأولاد منهم نافا وخنا... وقد وزع أولاده على البلاد المختلفة في المنطقة. وقد سكن نافا نارتي في جزيرة نافا وسكن خنا في الخناق ... ويقال أن النصراني والد هؤلاء الأولاد كان يحكم ويسكن غرب جزيرة لبب الحالية وما تزال آثاره باقية للآن».

(3) محمد جلال احمد هاشم،جزيرة صاي .. قصة الحضارة. (أم درمان: مركز عبدالكريم ميرغني،2014 م)،ص -38 39.

(4) محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله،(القاهرة: لجنة التأليف والنشر، 1956م)، ص 302 .

(5) مقابلة مع عبد الواحد ساتي محمد حاج وآخرون،43 عام، عامل،منطقة غرب لبب بتاريخ 2016/7/15م

(6) نفس الراوي.

- نسب هذه الجزيرة إلي الرئيس جعفر نميري وذلك في سبعينات القرن الماضي وتذكر بعض الروّايات أنه جلب إليها بعض الأفراد من الذين لهم صلة بأهل جده ومن بقايا رقيقهم.

(7) لمزيد من التفاصيل راجع: رجاء يوسف الحكيم»المديرية الشمالية .. دراسة إقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة،قسم الجغرافيا، كلية

الآداب، جامعة القاهرة، فرع الخرطوم،فبراير 1972م.

- المقريزي (ت845هـ/1445م)، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي، (الخرطوم: 1972م) .

(8) سعاد عثمان بابكر،» الدلالات الثقافية والتاريخية للمدافن القديمة،موقع غرب لبب(بمنطقة دنقلا)»، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، كلية الآداب جامعة الخرطوم،2013م،116-119 .

(9) محمد عوض،المرجع السابق ،ص 302 – 303 .

# الفصل الثاني

# البعد الحضاري والثقافي لمنطقة لبب

# الفصل الثاني

# البعد الحضاري والثقافي لمنطقة لبب

## تمهيد:

شهد السودان قيام أول تنظيم سياسي مكتّمل الأركان من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى - إن جاز لنا التعبير-وعرض هذا الكيان السياسي بمملكة كرمة، والتي كانت خلاصة التراكمات الثقافية السابقة، من العصور الحجرية ومروراً بفترة المجموعات الحضارية (3500-1500 ق م)، وكذلك يعتبر تطوراً طبيعياً لما يعرف بحضارة ما قبل كرمة.

امتدت حدود مملكة كرمة بصورة أساسية ما بين الشلالين الثاني والرابع، وكانت حاضرتها مدينة كرمة - الواقعة على الضفة الشرقية للنيل جنوباً الشلال الثالث بحوالي ثلاثين كيلومتر تقريباً- ودام نفوذها السياسي لما يقارب الألف عام تقريباً (2500-1500 ق م).

ومن أشهر المعالم المادية لحضارة كرمة ما يعرف بالدفوفتين الشرقية والغربية[1]؛ وأهم ما يميز حضارة كرمة هو صناعة الفخار وتفرّده بمستوى تقني وفني رفيع من حيث الدقة والنعومية والجمال وتناسق الألوان، كما عرفت هذه الحضارة الرسم الملوّن والنحّت البارز وفنون النحت المختلفة[2]، وكذلك ظهرت في حضارة كرمة بعض معالم التنظيم الديني حيث هناك مؤشرات بأن الدفوفة الغربية كانت المعبد الرئيسي للمدينة.وقد يطول بنا الحديث فى هذا الفصل إذا تناولنا الثقافة المادية للحضارات المتعاقبة في هذه المنطقة لذا سنشير إلى الملامح العامة للتطّور لأهم الملامح الثقافية للمنطقة لأن غرضنا إبراز دور منطقة لبب داخل هذه المنظومة الحضارية .

## الكوة كمركز ديني:

في عهد الدولة المصرية الحديثة (1552-1069 ق. م)_والتى قوَضت مملكة كرمة_ وقع إقليم دنقلا تحت نفوذ الاحتلال المصري كإحدى نتائج سياسة التوسع المصري جنوباً، ولعل من أسباب هذه السياسة، القلق الذي كان يسببه لهم وجود مملكة قوية في الجنوب، مثل مملكة كرمة على الاستقرار السياسي للدولة المصرية، وكذلك للاستفادة من الموارد الاقتصادية التّي تتمتع بها المنطقة، وخاصة المعادن ومن أجل ذلك أنشأت الإدارة المصرية العديد من القلاع على النيل ما بين الشلالين الأول والثاني، ويلاحظ في هذه الفترة قوة التأثيرات الثقافية المصرية على المنطقة حيث شهدت انتشار المعابد المصرية والتي تعتبر من أهم الآثار المادية التي تركها ملوك الدولة المصرية الحديثة ففي عهد اخناتون (امنحوتب الرابع) (1362/1347 ق م) أقيم معبد في الكوة للإله رع _تقع في الضفة الشرقية بمنطقة لبب _[3] وأصبحت الكوة مستوطنة دينية مُهمة ورمز للتحوّل الدينى في مصر ولكن في عهد الملك توت عنج آمون (1352/1337 ق.م) إنشاء معبد صغير في الكوة للإله آمون الذي بدأ شأنه يعلو من جديد في مصر [4]( صورة رقم (10، 11)). وهذا يدعونا للقول بأن منطقة لبب في هذه الفترة كانت أحد أهم المراكز.

صورة رقم(10)

علامة توضح موقع الكوة الآثري

صورة رقم(11)

توضح بعض من آثار معبد الكوة

وتعتبر منطقة لبب أيضا من المواقع المهمة مّما يعرف عند المؤرخين بمملكة كوش (من القرن التاسع قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي)، وتنقسم هذه المملكة إلى فترتين رئيسيتين هما: الفترة النبتية والمروية، على حسب الموقع الجغرافي لكل من عاصمتيّهما حيث تحولت العاصمة من نبتة عند جبل البركل إلى مروي في منطقة كبوشية الحالية، ولا يعرف على وجه التحديد أسباب هذا التحوّل، وحتى الفترة الزمنية لهذا التحوّل لا يزال مكان نقاش بين الباحثين، ويبدو أن النشاط الملكي المتمثّل في القصور والمعابد قد انتقل إلى مروي بحلول القرن الرابع قبل الميلاد[5]، وإن كان هناك من يرى أن مدينة مروي كانت هي العاصمة الوحيدة للمملكة الكوشية[6].

من أهم الانجازات السياسية لهذه الفترة تمكن ملوكها من السيطرة على مصر وحتى البحر الأبيض المتوسط، وشكلوّا بذلك الأسرة الخامسة والعشرين في تاريخ مصر، ويلاحظ أن الفترة الأولى لهذه المملكة (النبتية) تميزت بظهور المؤثرات الثقافية المصرية بوضوح مثل العادات والتقاليد المتعلقة بالدفن واستخدام اللّغة المصرية القديمة بخطها الهيروغليفي وكذلك اشتهرت عبادة الآلهة المصرية، بينما تميزت الفترة الثانية (المروية) بظهور العناصر الثقافية المحلية ويلاحظ ذلك في تخليهم عن الكتابة المصرية وابتكارهم للكتابة المروية، وظهور آلهة محلية إلى جانب الآلهة المصرية مثل الإله ابادماك، وعرفت في هذه الفترة أيضاً صناعة وتعدين الحديد،كما شهدت هذه الفترة تطوراً كبيراً في الفنون والعمارة وخاصة المعابد[7].

ويتضح أهمية المنطقة من خلال موقع الكوة الديني_ جم آتون _،،حيث تشير الدراسات الآثارية أن هذا الموقع وقد وجد اهتماماً متعاظماً في عهد الملك الكوشي تهارقو الذي شيد فيه معبد آمون، كما ترك العديد من ملوك كوش بصماتهم في كوة، أما المبنى الضخم المبني (القصر الشرقي) فيعود تاريخه للقرنين الثاني والأول قبل الميلاد، ولما كان أكثر ما تتميز بها المنطقة خلال الفترات التاريخية المتعاقبة المظاهر الدينية فإن تركيزنا سيكون على

هـذا الجانـب ونشـير هنـا إلى أن الملـك تهارقـو قـد قـام بصيانـة المعبـد الأول (A) والـذي يرجـع تاريخـه لفـترة المملكـة المصريـة الحديثـة (سـبق ذكـره) وأبعـاده (38×17م) وأضـاف إليـه حجرتـين وبـرج في الواجهـة لتُصبـح مـن أهـم المعابـد الدينيـة الآمونيـة في المحـور الشـمالي، أمـا المعبـد الثانـي (B) وأبعـاده (27×15)، فقـد أُعيـد بنـاءه في القـرن الثانـي الميلادي وبُنيـت حجرتـاه الأماميتـان بالطـوب اللبـن بينمـا اسـتعمل الحجـر في بناء كتـوف أبوابـه وقـدس أقداسـه[8].

وكانـت الكـوة إحـدى أهـم المراكـز الدينيـة في الفـترة الكوشـية التـي كان يتـم فيهـا تتويـج ملوكهـا حيـث يسـتمد الملـك شرعيتـه الدينيـة مـن هـذا التتويـج لتدعيـم سـلطته الدنيويـة وذلـك بإضفـاء القدسـية المسـتمدة مـن إرادة الإلـه آمـون عليهـا، فيمـا يُعـرف برحـلات التتّويـج المَلكيـة، حيـث كان يتـم الإعـلان المبدئـي للملـك الجديـد في مـروي العاصمة الملكيـة، عـلى حسـب الأعـراف المتبعّـة، ومـن ثـم ينتقـل الملـك إلى نبتـة ليتـم تتّويجـه عنـد معبـد الإلـه آمـون الكبـير أمـام جبـل الـبركل (المقدّس) ولا يكتمـل التتويّـج والمسـيرة الملكيـة عـادة إلا بزيـارة عـدد مـن المعابـد في محـور المملكـة الشـمالي، بجانـب المعبـد الرئيسـي في الـبركل، حيـث كان الرّكـب الملكّـي يشُّـد الرحـال شـمالاً نحـو الكـوة وأخـيراً أرقـو (بنوبـس) عـن طريـق النيـل أو الطريـق الـبري (الصحـراوي)، وربمـا يُجمـع بـين الطريقـين، وبعـد إكمـال هـذه الرحلـة يعـود الملـك الجديـد إلى مقـرّ ملكـه في مـروي وقـد اكتّمـل تتويجـه وباركتّـه آلهـة المملكـة واكتملـت قدسـيّته بالنسـبة للرعيـة[9].

## مركز لبب غرب (ودنميرى):

بعـد إنهيـار مملكـة مـروي في القـرن الرابـع الميـلادي نتيجـة لعوامـل داخليـة وخارجيـة أهمهـا التدخـل الأكسـومي مـن الـشرق مـرّت المنطقـة بفـترة مظلمـة لمـدة قرنـين مـن الزمـان عرفـت عنـد الدارّسـين بحضـارة المجموعـة الغامضـة (X Group)، ثـم لاحقـاً بحضـارة مـا بعـد مـروي، ولكنـي أقـترح ـ مبدئيـا ـ هـذه الفـترة يمكـن أن نطلـق عليهـا الفـترة الأُكسـومية لأن هنـاك عـدد مـن الشـواهد التاريخيـة تقـول بـأن

الأُكسوميين كان لهم تأثير كبير على الأحداث السياسية في السودان في هذه الفترة ، وربما حكموا سودان وادي النيل بطريقة غير مباشرة عبر مجموعات تدين لهم بالولاء[10]، حتى ظهور الممالك النوبية على مسرح الأحداث السياسية في منتصف القرن السادس الميلادي وهي:

الأولي: مملكة نوباتيا وعاصمتها فرص في الشمال.

الثانية: مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا في الوسط.

الثالثة: مملكة علوة وعاصمتها سوبا في الجنوب.

وتقع منطقة منطقة في قلب الحدود السياسية والجغرافية مملكة المقرة الممتدة على النيل ما بين الشلالين الثالث، والرابع، والتي اتحدت في فترة لاحقة مع مملكة نوباتيا في أوائل القرن الثامن الميلادي على أرجح الأقوال[11].

وكانت هذه المملكة ذات صلة بالتطوّرات السياسية والدينية على النطاقّين العالمي والإقليمي وذلك من خلال صلاتها مع دول البحر الأبيض ومصر، التي دخلتها المسيحية في القرن الأول الميلادي، ومنها أخذت المُؤثرات المسيحية تتسرب إلى الجنوب، مما مهد الطريق إلى التبشّير الرسمي في مملكة المقرة في منتصف القرن السادس الميلادي على المذهب الملكاني، ثم تحوّلت إلى مذهب الكنيسة المصرية بعد اتحادها مع مملكة نوباتيا مطلع القرن الثامن الميلادي في ظروف غير معلومة على وجه الدقة[12].

أما من الناحية السياسية فبعد فتح العرب المسلمون لمصر، حاولوا مد نفوذهم جنوباً؛ فشنوا سلسلة من الهجمات الفاشلة، انتهت باتفاقية شهيرة، عرفت بإتفاقية البقط (البقت) عام (652م)، والتي تضمّنت بنودها أهم الأسس التي قامت عليها العلاقات السياسية والاقتصادية بين الطرفين مع بعض التعديلات البسيطة التي كانت تتم حسب التطورات السياسية، وخاصة بعد انتقال الخلافة الإسلامية للبيت العباسي وقيام الدويلات الإسلامية في مصر ورغم هذه الظروف السياسية المتغيرة إلا أن الاتفاقية نجحت في تنظيم العلاقات لمدة ستة قرون تقريباً.

بعد سيطرة المماليك على مقاليد السُلطة في مصر عام (1264م)، أصبحت السمّة المميزة للعلاقات بين الطرفين الحملات المملوكية المتتالية على دنقلا، مما ساهم في إضعاف المملكة النوبية التي كانت تعاني من التفكك الداخلي نتيجة للصراع على السلطة، ومن التحولاّت المهمة في هذا الصراع استعانة شكندة أحد أمراء دنقلا بالمماليك، الذين ساعدوه على الوصول إلى السلطة بعد أن ضمن لهم تبعيته للسلطنة المملوكية في مصر، ولكنه واجه ثورة شعبية أدت لقتله، وفي عام (1317م) نجح المماليك في تنصيب عبدالله برشمبو ملكاً على دنقلا، كأول ملك مسلم، ولكن الأوضاع السياسية انفجرت مرة أخرى في نفس العام بظهور بني كنز الدولة على مسرح الأحداث السياسية وسيطرتهم على دنقلا الذين لم يُوفقوا في توفير الاستقرار السياسي بسبب الفوضى التي أثارتها بعض الجماعات العربية وضعف وتفكك النظام الملكي منذ القرن الرابع عشر الميلادي[13].

من جانب آخر فقد صاحبت الأحداث الأخيرة من عمر المملكة بعض التحولاّت الثقافية والاجتماعية ولعل أهمها أفول نجم المؤسسة الكنسية التي لعبت دوراً ملموساً في الحياة السياسية والإدارية والثقافية ما زالت بعض آثارها باقية في الممارسات اليومية في دنقلا كعادات وتقاليد، وفي الفنون والعمارة الماثلة أمام أعيننا إلى اليوم، ومن أسباب ضعف الكنيسة أنها فقدت الداعم الداخلي الرئيسي لها بتحوّل الملوك إلى الإسلام هذه الظروف وغيرها قد أفسحت المجال للإسلام ليحل تدريجياً محل المسيحية[18] وخاصة مع ازدياد تسرب الجماعات العربية المسلمة جنوباً بعد ضعف السلطة المركزية الملكية في دنقلا.

هذا بإيجاز أهم الملامح التاريخية والثقافية التي مّر بها إقليم المنطقة بصورة عامة في العصور الوسطى؛ وتدخل في هذه المنظومة منطقة لبب التي احتفظت بأهميتها كمركز إداري وديني مهم مع بعض الخصوصية نشير إليها إجمالاً ومنها أن الثقّل الديني والإداري منذ نهاية مروي قد انتقل من الكوة بشرق النيل إلى غرب لبب

غـرب النيـل حيـث الموقـع الضخـم المشـهور بقلعـة (دب) ود نمـيري[14] (الصورة، (-12 13)).

**صورة رقم (12)**
**توضح قلعة ودنميري**

**صورة رقم (13)**

**توضح جزء من القلعة ويظهر الباحث في الصورة**

ويلاحظ أن هنالك عدة قرائن آثارية مازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسة تشير إلى أن الاستيطان في منطقة غرب لبب أقدم من هذه الفترة مثل بقايا سور لقلعة قديمة تعرف عند الأهالي بسلمن دب، (صورة رقم (14)).

**صورة رقم (14)**
**توضح بقايا سور لقلعة قديمة تعرف بسلمن دب (كتي مار)**

وتعتبر قلعة ود نميري (لبب غرب) ضمن عدد من الحصون والقلاع المنتشرة على طول وادي النيل من الشلال الثالث شمالاً وحتى الشلال الرابع منها الخندق، كنكلاب، دنقلا العجوز، البخيت، وغيرها من القلاع والحصون وترجع تاريخها في الغالب إلى الفترة المسيحية[15] وتم استخدامها في فترات لاحقة[16]، وربما كانت هذه القلاع مراكز تستخدم لأغراض متعددة بجانب كونها مراكز إدارية، فقد تكون من المواقع الدفاعية ومراكز لتحصيل المكوث، ويمكننا أن نفترض أن موقع لبب غرب كانت إحدى المراكز الإدارية القديمة لمملكة المقرة، والتي كانت حوالي ثلاثة عشر إقليماً عليها ملوك لهم صلاحيات الملك في أقاليمهم[17] ويبدو أن هذه الأقاليم أخذت في الاستقلال تدريجياً عندما ضعفت السلطة المركزية الملكية في دنقلا وشكّلت كيانات سياسية مستقلة عن بعضها وخلفت سياسياً مملكة

المقرة[18]، ومن هذه الأقاليم منطقة دراستنا التي تميزّت بموقعها الجيّد على نهر النيل حيث كانت التجارة النيلية تتدفق من الجنوب للشمال والعكس وكانت أحد أهم محطّاتها لبب، وكذلك كانت تجارة الرقيق من أهم الأنشطة التجارية الممارسة مع مصر في العصور الوسطي، وربما كان موقعي لبب غرب والخندق من المدن المهمة والأسواق الرئيسية لتجارتها ولعل قلاعهما كانتا للأشراف على تجارة الرقيق العابرة على النيل[19]

هذا وقد شهدت منطقة لبب الأحداث السياسية بعد نهاية مملكة المقرة، والتي تميزت بالصراع بين الكيانات السياسية التي خلفّت مملكة المقرة أحياناً كثيرة والتحالفات السياسية أحياناً، وقد كان لوفود بعض المجموعات من قادة المماليك للمنطقة عام (1811م)، بعد سلسلة الملاحقات التي تعرضوا لها من محمد علي باشا_ والي مصر_ عقب مذبحة القلعة الشهيرة عام (1805م)، دور كبير في تأجيج هذه الصراعات كما كان وجودهم في السودان من ضمن أهداف محمد علي باشا لغزو السودان (1821م)، وذلك للقضاء على خطرهم المتوقع من الجنوب[20]. وبرزت في هذه الفترة شخصية مثيرة للجدل كحاكم للمنطقة عرف باسم ود نميري الذي ارتبط في الذاكرة الشعبية بالظلم والجبروت، ونُسجّت حوله الكثير من الحكايات، بينما تشير روايات أخرى أن تصويره بالظلم كان بسبب اختلافه مع أسرة حاج شرفي _ أسرة الإمام المهدي _ أحد أهم الأسرة الدينية في المنطقة حول ملكية إحدى الجزر_ وأظنها جزيرة درار _، ومعلوم مدى المكانة المهّمة التي كانت لرجال الدين في نفوس السكان،واعتقادهم بأنهم دائماً في جانب الصواب، كما أن معاصرته لجزء من الحكم التركي للسكان والذي تميز بالظلم والقهر للأهالي، وفرض الضرائب الباهظة[21]، دور كبير أيضاً في أن يصور ود نميري كأحد رموز الظلم في المنطقة، وهو موضوع قد يحتاج لدراسة خاصة.

## خلاصة:

لاشك إن هذا التسلسل التاريخي والحضاري الذي تعاقب على المنطقة،وهذا الموروث الثقافي المتراكم كان له أثر كبير في المكونات الشخصية لسكان المنطقة بصورة عامة، وبالتأكيد كان لها دور مهم في شخصية محمد أحمد المهدي وكونت وعياً سياسياً مبكراً لديه وخاصة أنه سليل أحدى الأسر الملكية في دنقلا وهم الكنوز - كما تشير بعض الروايات - فضلاً عن أن محمد أحمد المهدي عاصر - وهو طفل في لبب- جزء من الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردّية في أواخر العهد التركي المصري،والظلم الذي لحق بأسرته بصفة خاصة من هذا النظام،وكان سبباً من أسباب نزوحهم عن لبب (سنبينه لاحقاً)، ويبدو أن هذه العوامل وغيرها كانت أحد محاور مكونات الشخصية الثورية الرافضة للظلم عند محمد احمد المهدي،والمتطّلعة للتغيير وقيادة دفتها مستقبلاً .

## حواشي وهوامش الفصل الثاني:

(1) لمزيد من التفاصيل،راجع: شارلس بونيه واحمد محمد الحاكم، كرمه مملكة النوبة،تراث إفريقي من عهد الفراعنة، ترجمة: صلاح الدين محمد أحمد(الخرطوم:دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م).

(2) لمزيد من التفاصيل، راجع: مصطفي عبد الحميد كاب الرفيق، الفنون التشكيلية في حضارات السودان القديم، ط1،(الخرطوم:كتاب الخرطوم الجديدة، سلسلةالـ100كتاب في الثقافة السودانية،2013م)،ص75-100.

(3) سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبته، (الخرطوم،1999م)،ص274-298.

(4) وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة: محجوب التيجاني محمود، ط2، القاهرة، 2005م، ص 476.

1. W.Adams, Nubia Acorrdior to Africa (London, 1977) :راجع

(5) شارلس بونيه واحمد محمد علي الحاكم، المرجع السابق، ص79.

(6) عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة (الخرطوم: سلسلة اصدارات وحدة تنفيذ السدود،إصدارة رقم (7) (2008م) ط2، ص29-30.

(7) لمزيد من التفاصيل راجع: محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، (القاهرة: دار المصارف، 1983م).

(8) عمر حاج الزاكي، المرجع السابق، ص 90.

(9) نفس المرجع، ص 53-49.

(10) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: عوض أحمد حسين (شّبا)، الأصل الأكسومي الحميرى للأسرة الملكية في مملكة المقرة (رؤية نقدية تحليلية) ، مجلة القلزم ،ع2، يونيو 2020م.

(11) لمزيد من التفاصيل راجع: عوض أحمد حسين (شبا)، دنقلا والدناقلة، ط2، (الخرطوم، 2011م).

(12) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع: الأب، ج، فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم: 1978م).

(13) لمزيد من التفاصيل راجع: مصطفي محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م)..

(14) لمزيد من التفاصيل عن هذه القلعة راجع: أحمد حسين عبد الرحمن،»الدلالات الآثارية للامتداد السياسي والديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع والثالث»، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2005م.

(15) وليام آدمز، المرجع السابق، ص 460.
(16) لمزيد من التفاصيل، راجع: عوض أحمد حسين (شبا)، خلفاء مملكة المقرة، (الخرطوم، 2012م).
(17) أبو صالح الأرمني (ت: 605 هـ/1208م) تاريخ أبو صالح الأرمني، في: مسعد، 1972م، المصدر السابق، ص 144
(18) عوض شبّا، المرجع السابق، 2012م.
(19) لمزيد من التفاصيل عن الأهمية الجغرافية والتاريخية للمنطقة راجع: سعاد عثمان بابكر «الدلالات الثقافية والتاريخية للمدافن القديمة موقع لبب غرب (بمنطقة دنقلا)»، رسالة دكتوراه قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2013م.
(20) لمزيد من التفاصيل، راجع:عوض أحمد حسين (شبا)، المرجع السابق، 2012م.
(21) لمزيد من التفاصيل عن الفترة التركية وأثرها في قيام الثورة المهدية راجع: محمد سعيد القدال: المرجع السابق.

# الفصل الثالث

# المكوّن الاجتماعي والأسري

# الفصل الثالث
# المكوّن الاجتماعي والأسري

## تمهيد عام:

استمد سكان المنطقة الممتدة على النيل ما بين مدينتي الدبة وكرمة اسمهم من اسم مدينة دنقلا العاصمة التاريخية (عاصمة مملكة المقرة)، ومن الصعوبة تحديد الجنس السلالي الأول الذي سكن المنطقة ويبدو أن كثرة الجيوب السهلية والأحواض مثل حوض لتي وحوض كرمة والقولد وكذلك الجزر النيلية، قد وفرّت بيئة صالحة للإستيطان البشري منذ القدم، وقد تعرضت المنطقة لعدة هجرات بشرية وموجات ثقافية أدت إلى بعض التغييرات في التركيبة الاجتماعية والثقافية، ومن أهمها الهجرات النوبية التي جاءت من جهة الغرب وأول من أشار إليها المؤرخ اليوناني إرتوثنيس (Eratisthenss) في القرن الثالث قبل الميلاد وذكر بأنهم أمة كثيفة يقطنون الضفة الغربية للنيل وتمتد أوطانهم من شلال مروي وحتى منطقة الدبة الحالية[1]، تزايدت هذه الهجرات في القرون التالية، وأصبح هذا العنصر مصدر قلّق لمملكة مروي ووردت أيضاً إشارة في نقش الملك الأكسومي عيزانا تفيد بأن إحدى دوافعه لغزو مملكة مروي عام (350م) ردع هؤلاء النوبيين[2] الذين انصهروا فيما بعد في المجتمع الموجود في الشريط النيلي، وتشّكل على إثره النسيج الاجتماعي للمنطقة لتلك الفترة.

بعد قيام الممالك النوبية المسيحية في منتصف القرن السادس الميلادي واجهت هذه الممالك المد الإسلامي العربي من مصر وحدثت عدة احتكاكات ومعارك بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة هدنة بين الطرفين عرفت بالبقط (البقت)، ورغم أن هذه الإتفاقية نصت في إحدى بنودها بعدم السماح بإستقرار التجار والجماعات العربية في بلاد النوبة إلا أن الضغوطات السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها الجماعات العربية خاصة في فترة الدولة العباسية في مصر اضطرتها للهجرة جنوباً، كما أن ضُعف السلطة السياسية في بلاد النوبة منذ

القرن الرابع عشر الميلادي اتاحت الفرصة لتزايد عمليات الهجرة العربية من مصر جنوباً، واختلطت هذه العناصر مع بعضها، وأثرت وتأثرت اجتماعيا وثقافياً، لتكون ما يعرف بالدناقلة التي تصنف ضمن المجموعات النوبية المتحدثة باللغة النوبية الدنقلاوية وتتصف بالصفات الثقافية والاقتصادية للمجتمعات التي تقطن في سودان وادي النيل وتمتهن الزراعة بصورة أساسية إلى جانب التجارة والصناعات التقليدية.

أهم المكونات الاجتماعية للدناقلة اليوم هي، من الجنوب إلى الشمال على حسب مواقعها الجغرافية، البديرية، الركابية، الأشراف، والجوابرة، ورغم هذا الانصهار والهجرات التي تعرضت لها منطقة دنقلا إلا أن العنصر الأساسي للسكان ما زال له حضور من الناحية العرقية والثقافية ويتمثل في البنية الجسدية وفي استمرار بعض العادات والتقاليد التي تعود إلى ما قبل قيام مملكة كرمة في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وربما مرد ذلك أن الشريط النيلي الضيق لا يتحمل استقرار مجموعات بشرية كبيرة، لذا هذه الهجرات كانت تستقر على النيل في شكل أفراد أو مجموعات صغيرة، مما سهل عملية امتصاصها وصهّرها داخل المجتمع الموجود[3].ويقول وليام آدمز في هذا الموضوع: «ما عاد هناك اليوم، أي سبب مقنع للاعتقاد بأن النوبيين الحديثين (كانوا) أناساً مختلفين عن نوبي القدم أو أي فترة متداخلة بينهما على النقيض من ذلك، إنني أرى أن كل شيء يشير إلى أنهم نفس الناس. إن كون أعدادهم تضخمت بالهجرة الداخلية، قتالاً كانت أم سلماً، من الشمال ومن الجنوب، لما هو مسلم به؛ أما أن الغرباء قاموا من مناسبة لأخرى وأحياناً جذرياً بخلخلة العمليات المنتظمة للتطور الاجتماعي والثقافي، فأمر ظاهر بالمثل. غير أن خيوط التواصل الثقافي من عصر لآخر ماكثة هناك ليراها الجميع. إنها تتيح سداة النسيج القائم من تحت الأساس لبُساطٍ من التاريخ النوبي يمتد من أزمان ما قبل التاريخ إلى الحاضر»[4]، هذه هي الملامح العامة للتركيبة السكانية لمجتمع دنقلا ومجتمع الدراسة جزء أصيل من هذه التركيبة (صورة رقم (15)).

**صورة رقم (15)**
**صوّر توضح وجوه من لبب**

## أسرة محمد أحمد المهدي:

انصهرت أسرة الإمام محمد أحمد داخل هذه المنظومة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة متأثرة بها ومؤثرة عليها كان نتاجها ميلاد الإمام محمد أحمد المهدي قائد الثورة المهدية (1881-1885م) وأحد أهم الشخصيات الدينية والسياسية في تاريخ السودان الحديث(صورة رقم (16)).

**صورة رقم (16)**

**توضح محراب (مكان ميلاد )الإمام المهدي ويظهر الباحث في الصورة**

اختلف حول تاريخ ميلاد محمد أحمد فيقول ثيوبولد ((A.B Theobald)) «ولد محمد أحمد بن السيد عبدالله في جزيرة لبب الصغيرة، بالقرب من دنقلا حوالي عام 1844م»[5] ووجدت هذه الرواية تأييداً من معلومة استقاها الشاطر يصيلي من السيد عبد الرحمن المهدي مفادها أن محمد أحمد ولد في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس سنة 1844م[6].وذكر نعوم شقير أن محمد أحمد ولد في جزيرة ضرار (درار) من أعمال دنقلا سنة (1258هـ/1843م) أو حواليها ووالدته تدعى زينب، وله أربعة أخوة ذكور وهم: محمد ومحمد أحمد وحامد وعبدالله وأخت واحدة وهي نور الشام[7]، وتفصّل فاطمة أحمد في

نسبة والدة محمد احمد, وتورد أن اسمها زينب بت نصر بن محمد بن نصر بن سراج الجعلي ووالدتها شايقية[8].

امتهنت هذه الأسرة _ محمد أحمد المهدي_ صناعة المراكب النيلية واشتهروا بها لإتقانهم هذه الصنعة, وقد وجدت هذه المهنة _ صناعة المراكب_رواجاً في عهد الاحتلال التركي الذين شجعّوا الملاحة النيلية فنمت التجارة النهرية لذا أقام الأتراك مراكز لبناء السفن (المراكب). ويشير القدال إلى أهمية هذه المهنة وأثرها على مستقبل الأسرة وتكوينها ,وعلى الطفل محمد أحمد نقتبس منه هذه الفقرات: «فأسرة محمد أحمد كانت مرتبطة بصناعة متطورة وفي حالة نمو مطرد، ولم تكن مرتبطة بالزراعة مثلها مثل غالبية الأسرة (الأسر) في تلك المنطقة. والعمل الحرفي المتطور يمثل مرحلة متقدمة من النشاط الإنساني. وتساعد الفرد على استقلالية الحركة والترحال، بخلاف الزراعة التي تبقى على صاحبها مرتبطاً بالأرض فإن خرج عليها وجد نفسه إما بلا عمل أو عاملاً أجيراً في أرض الغير وحرفة النجارة من الحرف التي تساعد كثيراً على ترتيب الذهن، إذ على النجار أن يكون دقيقاً في مقاييسه، وأن يكون على دراية ببعض من علم الرياضيات حتى يكون قطعه للأخشاب سليماً ويخرج بعمل متقن. وبالنسبة لصناعة المراكب فإنها تحتاج للمزيد من الدقة حتى تطفو المراكب على الماء، إذ أي خلل في هذا الأمر قد يؤدي إلى كارثة الغرق... ولعله (محمد أحمد) بذلك النشأة كان أكثر استعداداً لتقبل الأفكار الجديدة أو التفاعل معها والتأثر بها...»[9].

أما عن تاريخ بداية قدوم هذه الأسرة واستقرارها في منطقة لبب وأصولها فكثُرت وتعددت حولها الروّايات، منها الرواية التي أوردها محمد سعيد أحمد عبدالله في كتابه عام (1978م) على لسان حاج شرفي من جزيرة الأشراف وكان يبلغ آنذاك من العمر ثمانين عاماً، حيث ذكر: «سكان لبب من الأشراف الذين وفدوا من الجزيرة العربية وجدهم الكبير هو ساتي شرفي بن علي بن نصر وقد دفن غربي الجزيرة كما دفن ابناءه بجواره ... ويقال أن نصر هو أول من

جاء للجزيرة وقد كان ذلك في زمن الدولة الأموية في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ...»[10] , ومعلوم إن ساتي كلمة نوبية دنقلاوية وهي لقب ديني , قد تعنى شيخ (صورة رقم (18)).وفي رواية أوردها الكردفاني عن نسب محمد أحمد المهدي جاء فيها: «هو محمد المهدي بن عبدالله بن فحل بن عبد المولى بن عبدالله بن محمد بن حاج بن شريف بن علي بن أحمد بن علي بن حسب النبي بن صبر بن نصر الدين بن عبدالكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين بن عثمان بن موسى بن أحمد بن أبي العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبدالقادر بن الحسن العسكري بن علوان بن عبدالباقي بن صخرة بن يعقوب بن عبدالقادر بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»[11].

ويلاحظ أن هناك اختلافاً في تسلسل الأسماء من محمد أحمد وحتى نصر المذكور بخمسة أسماء أو أجيال، مما يشير إلى الفارق الزمني الكبير بين الروايتين، وذكر محمد عبدالرحيم أن أول من هاجر من هذه الأسرة إلى السودان يدعى صبر وقيل أن الأسرة كانت تدعى (بصبر نسي) أي احفاد صبر[12]. وفي رواية أخرى فيها بعض التفاصيل تقول أن أول من دخل منطقة لبب من أفراد هذه الأسرة هو شريف ولكن سميت الأسرة باسم ابنه حاج صاحب القبة المشهورة بغرب لبب (الصورة رقم(17)).

**صورة رقم (17)**
**قبة حاج شريف يمين الصورة**

وتوضح الرواية أن شريف هذا كانت أصوله عربية مصرية، قدم والده إلى السودان في أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وتزوج من امرأة دنقلاوية من المنطقة وانجب منها ابنه حاج وقد كتب له والده عن مقام أعمامه بالقاهرة، فذهب إليهم ولكنهم استقبلوه بفتور، فرجع غاضباً مرة أخرى إلى منطقة لبب وأقام مع أخواله الدناقلة وتزوج منهم ورزق بأربعة أبناء هم محمد، ساتي، علي، أحمد وقد نشأت منهم قبيلة تعرف بالخناق[13].

وتضيف رواية أخرى أن عالماً صاحب كرامات يدعى حاج شريف بن علي ولد حوالي عام (580هـ/1185م) ببلدة الخناق وبني له مسجد لاتزال آثاره باقية[14].وإذا اعتمدنا النسب الذي أورده الكردفاني فإن تاريخ ميلاد حاج شريف يبدو بعيداً إذا كان مولد محمد أحمد المهدي يعود إلى عام (1844م)،لأن ترتيب الأسرة حوالي سبعة آباء أو أجيال، ويمكن أن نعطي لكل جيل تاريخ تقريبي حوالي (30 عام) فإن متوسط الفترة يكون حوالي (210 عام)، مما يجعلنا نرجح أن أول من قدم لمنطقة لبب هو صبر أو والده نصر،وتاريخ حضوره حسب تسلسل الأسرة قد يكون هو الأقرب، كما أن معظم الروايات المحلية التي سمعتها في منطقة لبب أثناء زيارتي لها تشير إلى أن أسرة الأشراف ينتمون إلى أحفاد صبر وأنهم استقروا أولاً في قرية تمنار بالضفة الشرقية للنيل، حيث أقاموا فيها أول مسجد وخلوة لتعليم القرآن ما زال موجوداً حتى الآن , ثم انتقل أحفاده حاج شريف وأبناءه إلى الضفة الغربية (غرب لبب) ومنها إلى جزيرة لبب، وربما كان ذلك في القرن السادس عشر الميلادي، ولعل شهرة حاج شريف بالعلم والزهد وأنه أول من انتقل إلى الجزيرة هو سبب الخلط بين الروايتين. وسنورد فيما يلي بعض الروايات والآراء التي قد تضئ بعض الجوانب من تاريخ هذه الأسرة وأصولها.

ذكر الشاطر بصيلي أن أسرة محمد أحمد المهدي تنتمي إلى بيت الولي نجم الدين، المدفون بالقاهرة، الذي أشتهر بالعلم ومن هذه الأسرة عدد من الفقهاء الذين اشتهروا بالعلم والولاية وما زالت أضرحتهم موجودة، وخاصة في أسوان وجنوبها، وتعرف الشعبة التي تنتمي إليها بالعون اللاب نسبة إلى عون الله بن الولي نجم الدين،

ويقطنون في أسوان والمناطق الداخلية جنوباً، ولا يعلم على وجه التحديد الظروف التي دفعت بهم للهجرة والانتشار جنوباً، وفي أي الفترات[15].

ويقول نعوم شقير عن أسرة محمد أحمد: «هو ذرية رجل يسمى حاج شريف طال عمره جداً وأشتهر بالصلاح والتقوى وقبيلته من العرب المتنوبة، وقد عرفت في دنقلا بصبر نسي أي قبيلة (أحفاد) صبر وهو جد أبعد من جده حاج شريف، وعرفت أيضاً بالأشراف لأنها تدعى النسبة إلى جد أبعد من صبر يقال له نجم الدين وهو جد الكنوز المدعي النسبة إلى آل البيت. ولما أدعى محمد أحمد المهدية علىَّ نسبه حتى أوصله إلى الحسن طبقاً لما تدون في الكتب من شرائط المهدية[16]»، وإن كان لنا من وقفة هنا فإننا نشير إلى أهمية صلة هذه الأسرة بالكنوز وهم الذين تصاهروا مع ملوك دنقلا وصولاً إلى عرش المملكة، وكان لهم دور فاعل في الحياة السياسية في المنطقة (أشرنا لهم من قبل)؛ وتذهب معظم الروايات إلى أن الكنوز أصولهم ترجع قبيلة بني ربيعة العربية[17]، بينما يرى الشاطر بصيلي أن الاسم مستمد من المنطقة الممتدة بين الشلالين الأول والثاني، وكانت تعرف حتى منتصف القرن السابع الميلادي باسم تاكنز[18].وطرح لنا سلاطين باشا في حديثه عن أسرة محمد أحمد (المهدي) سؤالاً يشكك فيه عن صلة هذه الأسرة بالأشراف حيث يقول: «ولد هذا الرجل محمد أحمد من أسرة فقيرة مغمورة، لكنها تدعى انحدارها من الأشراف من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن أحداً لم يستفسر عن حقيقة هذا الإدعاء أو يعترف به، فلقد كان معروفاً عنه من ناحية عامة بأنه دنقلاوي، ويحاول فيرغيس نيكون تلخيص هذه الآراء بقوله: «وبصورة أكثر دقة ينتمي محمد أحمد ضمن الإطار القبلي المعّقد في الإقليم الشمالي إلي عائلة الكنوز من النوبيين العرب البرابرة»[19]. وهنا نقف على نقطتين لتكونا إضاءة حول هذا الموضوع، الأولى: اشتهاره بأنه دنقلاوي قبل إعلانه المهدية، فقد وصفه شيخه محمد شريف إثر الخلاف الذي وقع بينهما، قائلاً: «... صدق فيك المثل القائل «الدنقلاوي شيطان مجلد بجلد إنسان»[20].

أمـا النقطـة الثانيـة: هنـاك روايـة أوردهـا الفاضـل محمـد سـليمان سـعيد اسـتقاها مـن عـلى عبـاس نمـيري تقـول أن صـبر وصبـار أخـوان بـل توأمـين وأن آل حـاج شريـف هـم أحفـاد صـبر والشرباشـية (أسرة ود نمـيري) أحفـاد صبـار[21]، وفي روايـة أخـرى للفاضـل محمـد خـير منقولـة عـن جعفـر محمـد نمـيري ـرئيـس سـابق للسـودانـ، بمنزلـه بـأم درمـان بحضـور مجموعـة مـن أهلـه ذكـر أنهـم، أصلاً مـن منطقـة شـمال أبوحمد تسـمى (شربـاش) وإنهـم تزاوجـوا مـن آل شريـف مثلهـم مثـل أسر كثـيرة سـكنت لبب[22]،وهنـاك روايـة أخـرى تقـول بـأن صبـار تـوأم صـبر وهـم أبنـاء نـصر ويعـرف أحفـاده بصـبر نـسى[23]، وهنـاك قرينـة أثريـة تعضـد هـذه الروايـة وهـي قبـة ومدفـن نـصر الواقعـة غـرب قـصر جعفـر نميري، ويبـدو أنهـا مـن أقـدم القبـاب والمدافـن الإسـلامية في المنطقـة، واسـتنتجنا ذلـك مـن ملاحظـة طريقـة الدفـن ولوجودهـا بعيـدة مـن المدافـن المتعـددة، كمـا أن روايـات الأهـالي تقـول أنهـا أقـدم المدافـن ومعروفـة بقبـة نـصر ,وهـي رمزيـة للخصـب والنمـاء ويمـارس فيهـا السـكان بعـض الطقـوس الخاصـة بالخصوبـة والإنجـاب (صـورة رقـم (18) ).

**صورة رقم (18)**
**توضح قبة شيخ نصر**

## أوصاف الإمام المهدي:

أما عن الخصائص والسمات الجسدية التي ورثها الإمام محمد أحمد من آباءه وأسلافه- كما وصفه من شاهده-،وأثرها على الآخرين، فإننا نورد هنا بعض الأوصاف للإمام محمد أحمد ومنها وصف سلاطين باشا: «كان طويلاً عريض الكتفين ذو لون خفيف السمرة وقوي البنية له رأس ضخم وأعين سوداء براقة وكان له لحية سوداء وشلوخ ثلاثة على كل خد من وجهه له أنف دقيق وفم متناسق وكان دائماً الابتسام وعندها تبرق أسنانه البيضاء وبينهما فلجة واضحة بين نسبة العلويين والتي يعتبرها السودانيون دليل فال وحظ حسن. وربما كانت تلك الفلجة هي التي جعلته محبوباً حتى أن البعض كان يسميه (أبو فلجة) لباسه جبة قصيرة شديدة النظافة ومعطرة بزيت الصندل والمسك وعطر الورد حتى أشتهر وسط أتباعه وأسموه (بريحة المهدي) ويعتقدون أنها تشبه رائحة الفردوس أو تفوقها»[24]. وغيرها من الأوصاف التي تؤكد تأثير شكله فقد ذكر الأب أُورفلدر(Ohrwalder): «كان مظهره الخارجي جذاباً بصورة غريبة. كان رجلاً قوي البنية داكن البشرة وعلى وجهه دائماً ابتسامة لطيفة عوّد نفسه عليها بطول الممارسة. وتحت هذه الابتسامة تلمع مجموعة من الأسنان البيضاء المفلّجة. وفي وسط السنين العلويين فلجة تعتبر في السودان علامة على أن صاحبها سيكون محظوظاً في حياته. وكذلك طريقة حديثه أصبحت لطيفة وحلوة بصورة غير مألوفة ...»[25] (لوحة رقم (1).ويقول إبراهيم فوزي في وصفه: «كان طويل القامة أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مفتول الساعدين فخم الجثة عظيم الهامة واسع الجبهة أقنى الأنف واسع الفم والضنين مستدير اللحية خفيف العارضين أسنانه كاللؤلؤ وفي الفك الأعلى فلجة بين الأسنان حتى سمية بأبو فلجة.وبالجملة فإنه ذا صورة جميلة جداً بين السود أمثاله وكان يتعمم على قلنسوة من نوع ما يتعمم عليه أهل مكة وعمامته كبيرة منفرجة من الأمام يرسل عذبه منة منها على منكبه الأيسر حتى

تتجاوز سرته ويضع على منكبيه رداء من (الدمور) ويتمنطق بمنطقة من الخوص أو بخرقة من الدمور ويلبس نعلاً تشبه نعال أهل مكة مصنوعة في السودان وكان لبسها مخصوصاً بالأعراب والضعفاء ويطلق عليه اسم (الشقيانة) أي فعل الشقاء فأبدل هذا الاسم باسم (السعيدية) أي نعل السعداء ويحمل على الدوام في يده اليسرى أو على منكبه الأيسر سيفاً رغم أنه سيف النصر الذي أهداه له النبي ﷺ ويتوكأ على هراوة طويلة مصنوعة من النحاس مكسوة بجلد أو هراوة من النوع المعروف باسم (خيزران)...»(26).

**لوحة (1)**
**مقابلة المهدي لأورفالدر في الرهد**
**(في أورفالدر، ص124)**

## خلاصة:

إن معظم الروايات تكاد تجمع بأن أسرة الإمام المهدي أسرة دينية ذات صلة بآل البيت النبوي الشريف وأنها قدمت من الجزيرة العربية عبر مصر وإن كانت بعض الروايات المحلية تشير إلى أن هذه الأسرة قدمت إلمنطقة لبب من الجنوب - ويجب أن لا تُهمل هذه الروايات-ويمكن النظر إليها في إطار التحركات السكانية في المنطقة وأن تحظى بمزيد من الدراسات، وقد امتزجت هذه الأسرة مع النسيج الاجتماعي والثقافي الموجود أصلاً في المنطقة والتي تتجد نسبياً بفعل الهجرات، وخاصة أن المنطقة - كما ذكرنا - كانت تتميز بموقع تجاري مهم، وقد أشتهرت هذه الأسرة بالتدين والعمل الدعوي مما كان له أثر كبير في شخصية الإمام المهدي نشير إليه، ولا نقفل هنا عن أهمية دور مهنة الأسرة في الصناعة في تكوين شخصية محمد أحمد المهدي من حيث ترتيب الذهن الذي يجعل الفرد أكثر استعداداً لتقبل الأفكار الجديدة.ولعل من العوامل التي أثرت في شخصية الإمام المهدي الظلم الذي حاق بأسرته من قبل ود نميري (أشرنا له) وكان أحد أسباب هجرته، وتوضح رواية أخرى في ذات الإطار أن عائلة الإمام المهدي هاجرت بعد أن اتهمت بإيواء الهاربين من ظلم ود نميري وبسبب هذا الاتهام أخذ على العائلة تعهد مالي كبير تدفعه إذا أوت أحد الهاربين، وربما كان هذا العبء المالي والضريبي سبباً في تركهم لجزيرة لبب[27]. ويبدو أو هذا العامل كان له دور كبير في ثورية الإمام المهدي ضد الظلم التركي، وساعده في ذلك إرثه التاريخي إذ ينتمي إلى أسرة الكنوز التي حكمت دنقلا في إحدى الروايات وربما أستمد جرأته وحكمته وإصراره على رأيه من ذلك النبع، وساعده أيضاً على حسن قراءته للواقع الاجتماعي والاقتصاديوالسياسي والديني لتلك الفترة، وأن التغيير ضرورة أملتها تلك القراءة الفاحصة فصدع بمهديته، وأعلن ثورته عام (1881م)، كما كان لصفاته الجسدية العقلية دور مهم في تكوين شخصيته القيادية والدينية لأن الكثير من أوصاف المهدي المنتظر انطبقت عليه.

## حواشي وهوامش الفصل الثالث :

(1) Strabo,The Geography Of Strabo,Trans:Gones.Ed2,VoLVIII (London,1959),P7

(2) لمزيد من التفاصيل، راجع: سامية بشير دفع الله، «النوبة.. الأصل والتاريخ»، دراسات افريقية، مركز الدراسات والبحوث والترجمة، جامعة افريقيا، العالمية، عدد 144، يناير،1996م.

(3) لمزيد من التفاصيل،راجع:عوض احمد حسين (شبا) المرجع السابق، 2008م.

(4) وليامز ادمز، المرجع السابق، ص571.

(5) أ-ب ثيوبولد، المهدية تاريخ السودان الانجليزي المصري (1881-1889م) ترجمة محمد المصطفي حسين عبدالكريم (أم درمان: مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، 2010م،ص 53.،راجع.

2. A.B Theobald, The mahadiya -Ahistory of Anglo-Egyption (1881-1899), (London, 1901).

(6) الشاطر بصيلي عبدالجليل، معالم تاريخ سودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، (الخرطوم: مكتبة الشريف الأكاديمية، 2009م) ص 223.

(7) نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم (بيروت، دار الجيل، 1981م) ص321.

(8) فاطمة أحمد علي عمر، الشايقية ومواقعهم من المهدية، (القاهرة: واجة الكتب للنشر والتوزيع، 2017م)، ص110.

(9) محمد سعيد القدال، المرجع السابق، ص 27-29.

(10) محمد سعيد أحمد عبدالله، من تاريخ منطقة دنقلا، طبع على الألة الكاتبة، عام 1978م.

(11) اسماعيل عبدالقادر الكردفاني، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، (بيروت: دار الجيل، 1982م)، ط2، ص 74-75.

(12) محمد عبدالرحيم، النداء في دفع الافتراء، مطبعة البرلمان، 1952م، ص 26.

(13) محمود طلعت، غرائب الزمان في فتح السودان، مطابع السلام بمصر، 1314هـ، ص 144، في نهلة المبارك، مرجع سابق، ص 22.

3. *الخناق تطلق على المنطقة الواقعة شمال شيخ شريف أيضا وعلى عدة مناطق في السودان.

(14) سعاد عثمان بابكر، المرجع سابق، ص 34.
(15) الشاطر بصيلي، المرجع سابق، ص 223.
(16) نعوم شقير، مصدر سابق، ص 321.
(17) سلاطين باشا،السيف والنار في السودان،سيرة ذاتية لرجل حارب ثم خدم الدراويش في الفترة من1879م وحتي1895م، تعريب:محمد المصطفي حسن،(الخرطوم:دار عزةللنشر والتوزيع،2008م)،ص89.
(18) الشاطر بصيلي، مرجع سابق، ص59.
(19) نعوم شقير، مصدر سابق، ص 322.
(20) فيرغيس نيكول، سيف النبي مهدي السودان، ترجمة: عبد الواحد عبد الرحمن يوسف، (أمدرمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2009)، ص58.
(21) الفاضل محمد سليمان سعيد، مجموعة تاريخ لبب.
(22) الفاضل محمد خير محمد معروف، 65 عام، وكيل جامعة الرازي،الخرطوم مقابلة بمكتبه بتاريخ 2016/5/3م.
(23) بشرى أمين حامد، (رجال حول الإمام)، ج1 مخطوطة بمكتبة السيد أحمد المهدي الخاصة، ورقة 36، في نهلة مبارك فوراوي، مرجع سابق، ص 23
(24) سلاطين باشا، مصدر سابق، ص 89
(25) الآب, جوزيف أورفالدر، عشر سنوات في معسكر المهدي (1882-1892م)، ترجمة:عوض أحمد محمد الضو، ط2 (الخرطوم: 2015م)، ص25-26.
.4 F.J, Ohrwalder, Ten years Captivity in The Mahdis Camp, 1882-1892))
(26) إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج2، ص 66 – 77
(27) محمد سعيد القدال، المرجع سابق، ص 2.
.5

# الفصل الرابع

# المكوّن الديني

# الفصل الرابع
# المكوّن الديني

## تمهيد:

يعتبر الدين بصورة عامة أهم مكوّن وجداني للإنسان لأنه يمثل المبادئ والقيم والغايات التي يؤمن بها،وللدين أهمية كبرى ودور أساسي في شخصية الإنسان وطريقة تفكيره وسلوكه مع نفسه وتعامله مع الآخرين،ولما كانت منطقة لبب من أهم المراكز الدينية في السودان في الفترتين الآمونية الوثنية والإسلامية، سنتناول في هذا الفصل البيئة الدينية التي نشأ فيها محمد أحمد المهدي، وأثرها في تكوينه الوجداني والنفسي، ثم نتطرق إلي بعض الإشارات والآراء السالبة في شخصية محمد أحمد المهدي من قبل الكتاب الأجانب بالنقد والتحليل.

## البعد الديني للمكان:

ذكرنا أن منطقة لبب اشتهرت بأنها إحدى أهم المراكز الدينية في بلاد النوبة، منذ الاحتلال المصري (1500 ق م) ثم انتقل المركز الإداري والديني من الكوة بشرق النيل إلى غرب لبب بغرب النيل تدريجياً، وربما لعبت الظروف الطبيعية مثل زحف الرمال نحو النيل دوراً كبيراً في ذلك حيث تشير البينّات الأثرية وجود مدافن تعود لفترة ما بعد مروي (350-550م) وكذلك وجدت عدد من المدافن المسيحية، ويلاحظ في هذا الموقع قلة الآثار المسيحية مقارنة بالآثار الإسلامية التي مثلت بشكل واضح وبكثافة كبيرة،مما يقودنا للاعتقاد بأن هذه المنطقة كانت أحدى أهم المراكز الإسلامية الأولى في بلاد النوبة التي تسربت إليها المؤثرات الإسلامية منذ وقت مبكر .

من الواضح أن منطقة الصحابة - جنوب موقع غرب لبب مباشرة- واسم الصحابة تمثل دالة دينية مهمة، إذ يُرويّ أنها عرفت بهذا الاسم نسبة لوجود مدافن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بها_ قد لعبت دوراً كبيراً في اتفاقية البقط، حيث أن هناك

بعض الإشارات إلى أن أغلب الجيوش الإسلامية التي كانت تقصد دنقلا عاصمة المملكة كان طريقها بالضفة الغربية للنيل لأنه أفضل نسبياً من الضفة الشرقية المليئة بالكثبان الرملية، وربما كانت هذه المنطقة عبارة عن معسكرات للجيوش الإسلامية العربية وغيرها، وذلك لضخامة الموقع،هذا بالإضافة إلى تسمية الصحابة، ومن المحتمل أن القباب المربعة المدرجةفي موقع غرب لبب كانت مدافن لبعض قواد وكبار الجيش الذين ماتوا في المنطقة[1](صورة رقم (19))، وتجدر الإشارة هنا إلي أن هذه القباب تعرف محلياً باسم كافرين قبا أي قباب الكفار , ولا يعرف على وجه التحقيق من أطلق هذا الذي ينم وصم الآخر بالكفر، هل هم المسلمون أطلقوه على مدافن المسيحيين أم المسيحيين أطلقوه على مدافن المسلمين وهنا رواية تقول انها وصف أطلق على الأتراك.وقيل أيضاً أنها قباب لقواد الجيش الإسلامي.

صورة رقم (19)
توضح نماذج للقباب المربعة كافري قبة

ويبدو أن المركز الديني للمسلمين انتقل جنوباً مع قدوم أسرة محمد أحمد المهدي وبرز منها حاج شريف، وأطلق أسمه على جبانة لبب غرب واشتهرت باسم مقبرة حاج شريف بعد أن دفن فيها (صورة رقم(20)).

**صورة رقم (20)**

**نموذج عام لمدافن حاج شريف**

وكذلك توجد بعض المدافن القديمة على النيل جنوب جبانة حاج شريف ( صورة رقم(21))وشرق قصر الذي بناه في مطلع سبعينات القرن الماضي الرئيس جعفر محمد نميري حفيد ودنميري صاحب القلعة (صورة رقم (22) )، يقال أنها خاصة بالأغراب.

صورة رقم (21)

مدافن قديمة وحديثة على النيل شرق قصر جعفر محمد نميري

صورة رقم (22)

توضح جانب من قصر جعفر محمد نميري

وتميزت أسرة حاج شريف عن باقي الأسرة المشكلة للنسيج الاجتماعي للمنطقة بزعمها الانتساب لمجموعة الأشراف المنتمية إلى البيت النبوي والذي بناه من قبل، حيث انتهجت خطاً دعوياً تعليمياً، وأصبح معظم أفراد هذه الأسرة حفظة للقرآن الكريم وعلماء دين، فصار غالب أهل دنقلا من كافة مناطقهم يأتون لزيارة هؤلاء الشيوخ وقبابهم وذلك من أجل العلم والتبرك بهم، لاشتهار صلاحهم وذيوع صيت كراماتهم،ومازالت نار القرآن متقدة في المنطقة (صورة رقم (24))، ويلاحظ أن الشعر التراثي في المنطقة أشار إلى المكانة التي تبؤاتها أسرة حاج شريف في نفوس الأهالي مثل:

يا لشيوخ ناس حاج شريف أهل البنيات

يا لمساجدكم منورة بالقرايات

والبيوتكم عامرة بالضيوف والعبادات

يا سراع النعمة أصحاب الكرامات[2]

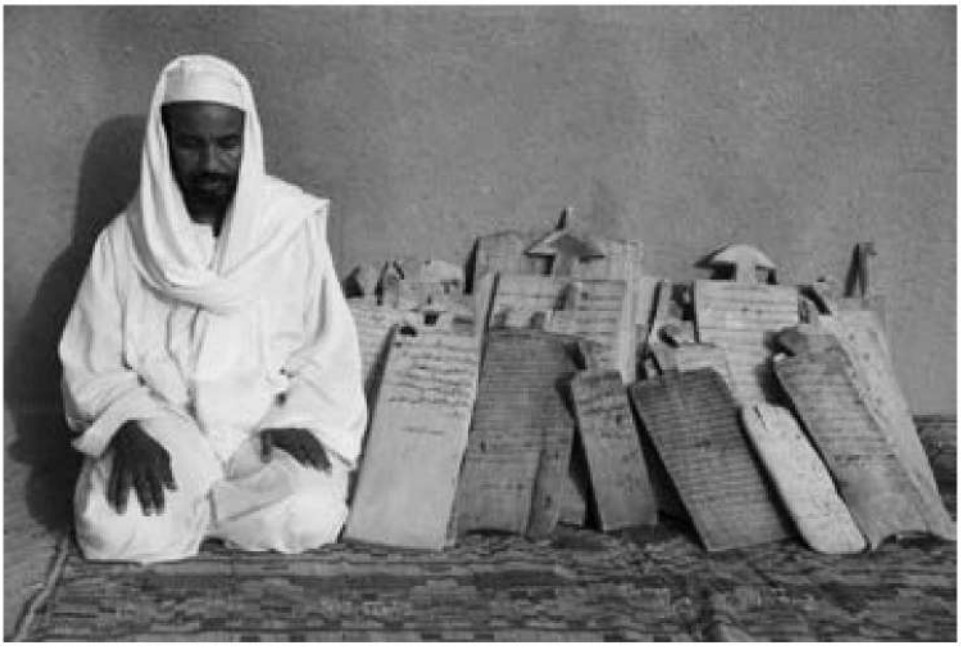

**صورة رقم (24)**
**توضح مظاهر استمرار التعليم الديني في منطقة لبب**
**(الشيخ خريف وأحد حيرانه من الأطفال)**

واشتهرت هذه الأسرة بالتدين والعمل الدعوي والتعليم الديني، مما كان له أثر كبير في شخصية محمد احمد المهدي الذي مال بالفطرة إلى العلوم الدينية،حيث تشير رواية ان والده عبد الله إلي جانب مهنته الأساسية وهي النجارة فقيهاً ومعلماً دينياً، وهو الذي علم ابنه وهو في بواكير عمره قراءة القرآن والكتابة وهو لا يزال في لبب[3]، وفي وثيقة نادرة عبارة عن خطاب بخط يد محمد أحمد المهدي يرجع إلي عام 1872م إلي السيد أحمد الريح نجل الخليفة إسماعيل الولي عبارة عن خطاب بفقيرنكتي فيه إشارة إلي مرافقة والده له (وثيقة رقم (1))، وتؤكد المعلومات الشفهية أن محمد أحمد قد درس في خلوة الخالصاب بفقيرنكتي في منطقة الدفار[4].

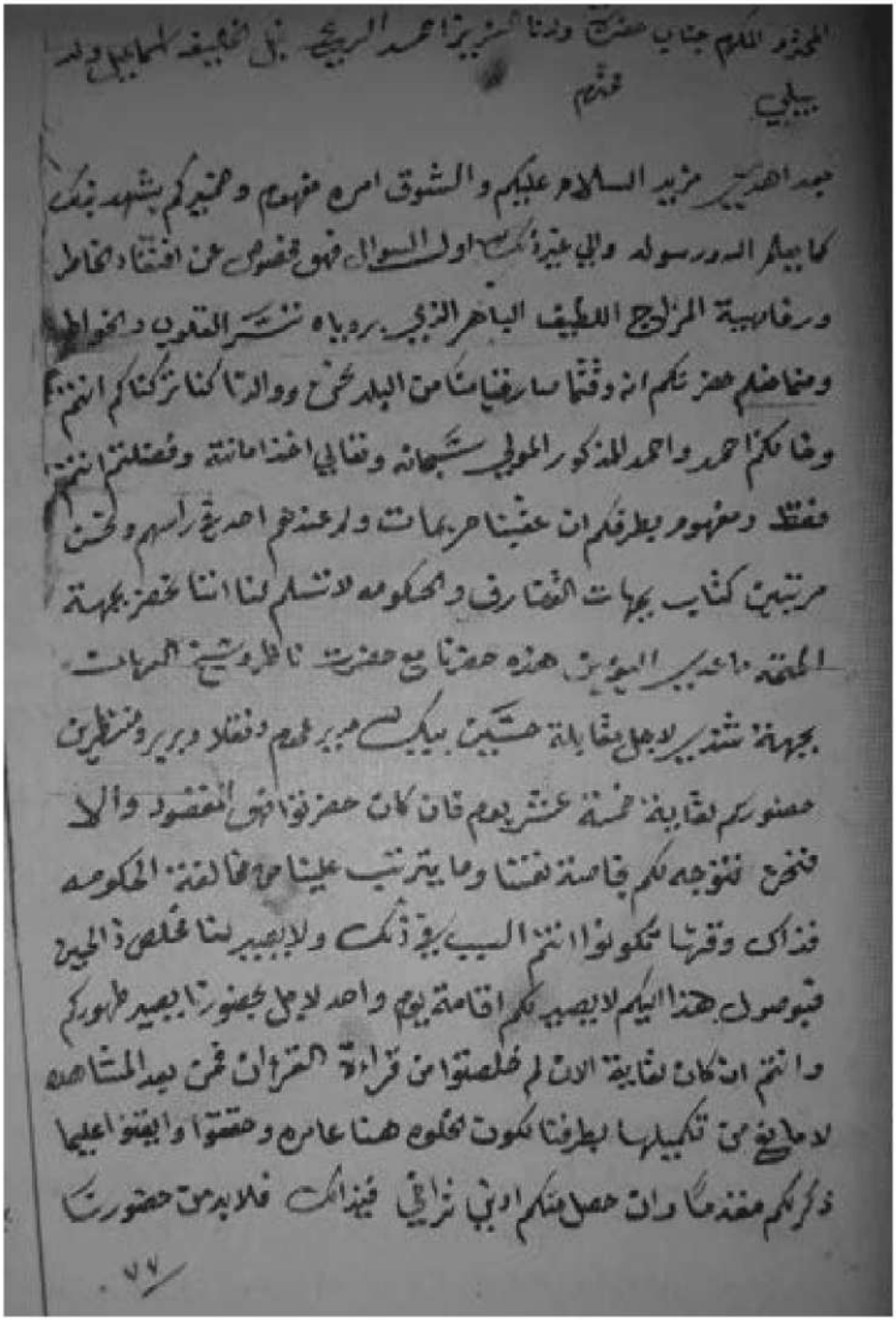

المحترم المكرم جناب حضرة ودنا العزيز احمد الريحي بن الخليفة اسماعيل ولد
بيلي
فندم

بعد التحرير مزيد السلام عليكم والشوق امر مفهوم وخبيركم بشهد بذلك
كما يعلم الله ورسوله والي عيزنكم اول السوال فهو مخصوص عن افتقاد الخاطر
ورفاهية المزاج اللطيف الباهر الزين. رويناه نشر العنبر والخواطر
ومخاطبكم حضرتكم انه وقتما سافرنا من البلد نحن ووالدنا كنا تركناكم انتم
وعافاكم احمد والحمد لله المذكور المولى سبحانه وتعالى اخذا مانته وفضلته انتم
فقط ومفهوم بطرفكم ان عندنا هريمات ولاعندهم احد يخ راسهم ولحسن
مرتبين كتاب بجهات الخارف والحكومه لاتسلم لنا انا نحضر بجهة
الحلقة ماعدا بير البوين هذه حضرنا مع حضرت نا الوديشيخ الهريمات
بجهة شنبير لاجل مقابلة حسين بيك امير لهم وقفلا وبير ومنتظرين
حضوركم لغاية خمسة عشر يوم فان كان حضرتوا فهي المقصود والا
فنحن نتوجه لكم خاصة نفتا وما يترتب علينا من مخالفة الحكومه
فذاك وقرنا تكونوا انتم السبب بذلك ولايصير لنا خلص ذالحين
فبوصول هذا اليكم لايصير لكم اقامة يوم واحد لاجل حضوركم ايصير ظهوركم
وانتم ان كان لغاية الان لم خلصتوا من قراءة القران فمن بعد المشاهده
لا مانع من تكميلها بطرفنا تكون تحلوه هنا عامر وحققوا وابقوا عليما
ذكركم مقدما وان حصل منكم ادنى تراخي فيذاك فلابد من حضوركم

٧٦

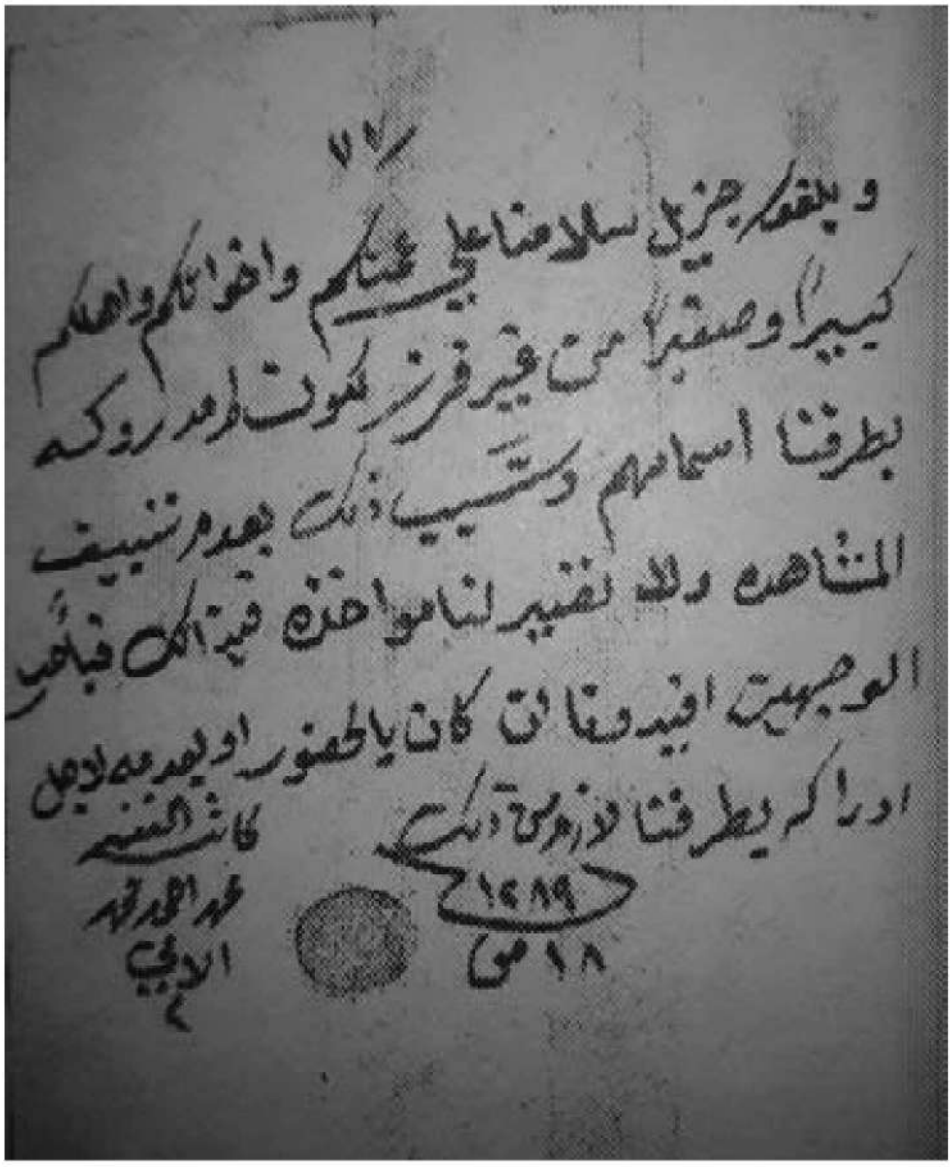

وثيقة رقم (1)

خطاب من محمد أحمد المهدي للسيد أحمد الريح

ثم واصل محمد احمد المهدي في دراسته الدينية بعد هجرته إلى أم درمان في خلاوي المنطقة رغم محاولة أخوته منعه من التعليم وأرادوه أن يمتهن التجارة معهم ولكنه أصر على موقفه وأبدى عزيمة

قوية للتعليم فإنصاع إخوته لرغبته. ثم انتقل شمالاً إلى خلاوي الغبش في بربر حوالي عام (1863-1864) وقضي بها ثلاث سنوات كانت من المعالمالبارزة في حياته فهي مرحلة انتقالية هامة، استكمل فيها سعيه للحصول على علوم عصره وبرز فيها أفق حياته الصوفية تدبراً وفكراً، وظهرت بعض ملامح الحدة والتورية في شخصيته ونلحظ ذلك في رواية تذكر أنه رفض الأكل مع الطلاب في بربر لأن مال الحربات حرام؛وبعدها انتقل الشيخ محمد شريف نور الدائم أشهر زعيم ديني بين بربر، والخرطوم ولكنه سرعان ما اختلف مع شيخه لظهور بعض بوادر الترف والتجاوزات الشرعية في ختان أبناءه، وهنا نلاحظ أيضاً من أن محمد أحمد المهدي رغم احترامه لشيخه وتوفيره إلا أنه تصدى بكل قوة لما يراه مخالفاً للدين، وبرز جانب آخر من شخصيته وهو اعتماده على نفسه حيث عمل في الاحتطاب والتجارة الإعالة نفسية ومساعدة الآخرين،ثم التحق بالشيخ القرشي ود الزين عام (1878م وحتى عام 1880م) ثم عاد إلى الجزيرة أبا ليتخذها مقراً للتعبد والتعلم والتعليم فذاع صيته بين المريدين والمتصوفة(4)، ولا شك أن هذه التربية والتجربة الصوفية الدينية قد تركت آثر بالغاً في حياته من زهد وحسن خلق وهنا نورد وصف إسماعيل عبد القادر الكردفاني للمهدي وتخلقه بأخلاق الإسلام:»أنه كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ولا مداح. ترك نفسه من المراء وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يواجه أحداً بما يكره .. يتفقد أصحابه ويسأل عنهم فمن كان غائباً دعا له ومن كان حاضراً زاره ومن كان مريضاً عاده. وأفضل الناس عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عند منزلة أحسنهم مواساة. لا يجلس ولا يقوم عن ذكر يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه. وما جالسه أحداً إلا صابره حتى يكون هو المنصرف عنه. وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء أوسع الناس صدراً وأصدقهم

لهجة وألينهم خلقاً وأكرمهم عشرة لا يجزي السيئة ولكن يعفو ويصفح متخلقاً بالقرآن المجيد عاملاً بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع ولين الجانب والرحمة لأوليائه ومواساة عباده وإرادة الخير لهم والحرص على كمالهم لهم والاحتمال لإذاهم والقيام بمصالحهم وإرشادهم إلى ما يجمع لهم خيريّ الدنيا والآخرة ذا حلم وعلم وصبر وشكر وعدل وزهد وتواضع وعفو وعفة وتقوي وحياء ومروءة وجود وسماحة وشجاعة وصمت إلا عن ذكر الله وتؤدة ووقار ورحمة بالمؤمنين ... وما وضع أحد فمه في إذن له إلا استمر مصغياً إليهحتى يفرغ من حديثه. أكثر الناس شفقه على خلق الله وأرأفهم بهم. يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس على الأرض ويأكل مع الخادم. ويحمل حوائجه بنفسه من السوق يحب الطيب ويستعمله ويحب من الثياب ما خشن ومن الطعام ما خشن.. واشتهر من أول نشأته بحب الخلوة والإنفراد عن الناس والتمسك بالدين كما بينا من قبل»(5). ويُعلق نعوم شقير على هذا الوصف بأنه وصف طويل أضطر فيه الكردفاني إلى الكثير من التملق(6)، ونشاطر شقير في بعض قوله ونري أنه من نوع مبالغة الأتباع في وصف إمامهم وتصويره في صورة أقرب ما يكون إلى الكمال البشري، وإن كان للتربية الدينية اثر واضح في شخصية وطريقة تفكير محمد احمد المهدي،وفي ذات الإطار يقول عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن:»ربط محمد احمد بن عبد الله بطبيعة نشأته الدينية وتعليمه وفكره ونزعته ومعتقداته الصوفية العميقة، التي كانت تؤمن بالكرامات والبشارات والرؤى الصادقة ودرجات الأولياء الصالحين وحضرات الأنبياء، بعد أن رأى ما آلت إليه أحوال السودان،كل ما ألم بالإسلام والمسلمين وبالبشرية من ضعف وتدهور بالحكم التركي المصري وأعتبره المسئول الأول... واتخذ المهدي لنفسه دور المصلح الديني ونادي بضرورة السعي لإصلاح جميع أحوال البلاد الدينية والسياسية والاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في السودان آنذاك، بعرض أفكاره ومفاهيمه الدعوية

وإبرازها في إطار عام ومقبول لعموم أهل السودان آنذاك،أساسه انه المهدي المنتظر،المكلف من قبل المولي،عز وجل،بالقضاء على الحكم التركي وتأسيس دولة إسلامية ...»(7).

## شبهات حول المهدي:

هذا المبحث ليس معنياً بصورة أساسية للبحث عن مضمون العنوان المشار – وإن كنا نتمنى أن يقوم بها أحد الباحثين – وإنما محاولة لاستكمال ملامح هذه الشخصية المؤثرة، جاء في كتاب (السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل) لأبو القاسم أحمد حمد،الذي قدم له بطريقة جيدة أورده فيما يلي لصلته بالموضوع الذي ستناوله:»ثمة محرمات عديدة تحيط بكتابة التاريخ الحقيقي للفترة المهدوية في السودان، فهي تتلبس حالة (قدسية) بالنسبة لأبناء طائفة الأنصار، وينبني عليها موروث تاريخي تتأسس عليه حالة سياسية لا زالت مؤثرة، كما أن تلك الثورة تمثل (رمزاً وطنياً) في مناهجنا فهي دليل (الشموخ السوداني) ومن هنا فإن محاولة المساس بها تقارب المحرمات.

غير أن ثمة فارق جذري بين المساس بها بقصد التجريح،وهذا ليس عمل النقد التحليلي التاريخي وبين إعادة تقييمها لاكتشاف حقائق تنبني عليها قضايا مصيرية لاحقة ...»(8).ومن هذا المنطلق النقدي التحليلي التاريخي، رغم اختلاف أغراضنا،نتناول احدي القضايا المتعلقة بالسلوك الأخلاقي لمحمد احمد المهدي والذي يهدم جانباً مهماً من ما بنيناه عن شخصيته من زهد وتقشف واستقامة سلوك استمدها من أربعة مكونات أساسية –أشرنا إليها-في سيرة حياته الأولي ومرحلة الدعوة ما قبل إعلان الثورة؛ فقد أورد نعوم شقير في وصفه لإحدى جوانب شخصية محمد احمد المهدي:»كان مولعاً بالنساء وقد مات عن نحو 100 امرأة منهن أربع شرعيات عرفن بأمهات المؤمنين والباقيات سراري وقد حبسنّ في منزله بأم درمان ولم يسمح لهن بالزواج إلى ما بعد الفتح الأخير فأطلق سراحهن فتزوج بعضهن ولا يزال البعض الآخر بلا زواج «(9)،

ويقول سلاطين باشا عن محمد أحمد المهدي بعد سقوط الأبيض قائلاً:»كان يقف أمام أتباعه بتواضع جم، مرتدياً جبة وسروال مع حزام من السعف حول وسطه وطاقية مكاوية على رأسه التفت حولها عمامة من الموسلين، ويعظهم بحب الله وحب القضية وبضرورة نبذ الخيلاء ونعيم الدنيا. لكنه عندما يدخل لمنزله يختلف الامر تماماً،فهنا يعيش في أبهة وعظمة ويترك العنان لشهواته للطعام والنساء، التي يدمن عليها السودانيين وعند أسر أي امرأة أو فتاة صغيرة أو امرأة من الرقيق كانوا يحضروهن أمامه وبعدها تجد الحسان منهن طريقاً إلى حريمه أما الخادمات اللواتي يحذقن فنون الطعام السوداني فيرُسلن إلى مطبخه» (10).ويصف سلاطين باشا* حال التعذيب والقهر الذي تعرض له سكان الخرطوم بعد سقوطها في أيدي الثوار ثم يضيف:»لم يسلم من هذه المعاملات (التعذيب) سوي الصغيرات من النساء والفتيات حتى لا يتعارض التعذيب مع الغرض المخصص لهن وتم فرزهن جانباً ليصبحن جزءاً من حريم المهدي والذي اختار منهن في نفس يوم سقوط الخرطوم وأحال البعض الآخر منهن لخلفائه وكبار أمرائه « , ثم يستطرد في وصف الجانب الخفي من حياة محمد احمد المهدي وخلفائه_ على حسب زعمه_ والذي يخالف تعاليم المهدي القاضي بالتمسك بالشريعة الإسلامية: «وأمام الناس كان يظهر بمظهر الملتزم بتلك التعاليم ولكنه وخلفاؤه وأقاربه كانوا عندما يدخلون منازلهم ينهمكون في الطعام والشراب وأنواع اللهو ويشبعون حتى الثمالة نهمهم وشهواتهم وضروب الملذات الواسعة الانتشار بين السودانيين «(11)، من جانب آخر وفي وصف مقارن للمهدي بعد سقوط الخرطوم يقول:» كان جسمه قد تضخم حتى أني كدت لا أعرفه»(12).وقد علق مترجم كتاب السيف والنار لسلاطين باشا نفسه والذي اقتبسنا منه ما أوردناه قائلاً: « لولا الالتزام بحرفية الترجمة لما أوردنا هذا الحديث الغث الذي لم يقله أحد ممن عاصر الإمام المهدي،وبذلوا أرواحهم وأسرهم وأموالهم لنصرته»(13). وتقدم فيفيان في كتابها (الخليفة عبد الله

حياتـه وسياسـته) مرافعـة منهجيـة تسـتحق التأمـل في معـرض دفاعهـا عـن خليفـة المهـدي عبـد اللـه التعايـشي، وتقـول:»... وقـد نـشر الانجليـز هـذه الصـورة (السـيئة للخليفـة) بغـرض الدعايـة السياسـية فضخّمـوا روايـات سـلاطين والأب أورفالـدر وخدموهـا بطريقـة تثـير الـرأي العـام البريطانـي وتجعلـه يتقبـل فكـرة إعـادة فتـح السـودان» (14).

هـذا التشـكيك في روايـات سـلاطين قـد يقـدح أيضـاً في مصداقيتـه في تصويـر محمـد أحمـد المهـدي بصـورة الرجـل المنافـق الـذي يطلـق العنـان لشـهواته وملذاتـه في مجالسـه الخاصـة بعيـداً عـن أعـين أتباعـه، وهـذا الموضـوع يحتـاج لمزيـد مـن الدراسـة والتحقـق في سـياقها التتاريخـي بمعنـى النظـر إليهـا بمنظـار الآراء الفقهيـة السـائدة في تلـك الفـترة ودراسـة الحالـة الاجتماعيـة والثقافيـة وغيرهـا، حتـى حسـم هـذا الموضـوع بطريقـة علميـة، وهـذا قـد يخرجنـا عـن موضوعنـا الأسـاسي، وهـو دراسـة السـمات الأساسـية لشـخصية الإمـام المهـدي التـي اكتسـبها أثنـاء طفولتـه في لبـب، والتـي تميـزت بالاسـتقرار في إطـار نظـام الأسرة الممتـدة التـي نشـأ فيهـا محمـد أحمـد المهـدي _كمـا اشرنـا سـابقاً_ والتـي انعكـس في بعـض جوانـب حيـاة محمـد احمـد المهـدي الأسريـة قبـل مهديتـه الـذي تـزوج ابنـة عمـه فاطمـة بـت حـاج في كـرري، وكذلـك زواجـه مـن نفـس أسرتـه بفاطمـة بنـت أحمـد شرفي التـي تزوجهـا في الخرطـوم قبـل مهديتـه أيضـاً وبعـد وفاتهـا تـزوج أختهـا عائشـة في الأبيـض*. وإن مـن ملمـح أخـير في هـذا الموضـوع نـورد بعـض إفـادات الأب أورفالـدر الـذي أفـاض في وصـف الـترف الـذي كان يعيشـه الإمـام المهـدي وذلـك مـن خـلال مشـاهداته الشـخصية ومـن وصـف مصـادره الموثوقـة نـورد ملاحظـة مهمـة وهـي أن المهـدي رغـم جنـاح حريـم المهـدي كان يعـج بأكثـر مـن ثلاثـين امـرأة يقفـن عـلى خدمتـه وراحتـه مـن تدليكـه وغيرهـا مـن خدمـات فـكان لزوجاتـه حضـور كبـير فيقـول: «وعائشـة (زوجتـه) ترقـد بجانبـه وهـي تغطـي راسـه وعنقـه بمعانقـات حانيـة...» وأيضـاً ذكـر»... تقـوم عائشـة بإلبـاس المهـدي جبـة الدراويـش والحـزام الكرّابـة...» ومـن إفاداتـه أيضـاً: «بـين هـذا الحشـد الضخـم

فإن أربعة فقط هن زوجاته الشرعيات، أما الباقيات فيعتبرن غنيمة وينظر إليهن كجوار ومحظيات. زوجته الرئيسية تسمي عائشة وهي تعرف في أم درمان بلقب «أم المؤمنين» وهي امرأة ذات نفوذ كبير...»، كما يورد بعض المشاهد من علاقة المهدي الطيبة بإبنه بشرى ومناقشته في بعض المواضيع (15).هذه الإفادات توضح لنا أن الإمام المهدي كان محافظاً للنظام الأسري كزوج وأب وأن لزوجاته دور كبير في إدارة هذه المنظومة الأسرية وفي المجتمع.

## خلاصة:

من خلال هذه السباحة القصيرة في التكوين الديني والوجداني للإمام المهدي نجد أن هنالك تناقض كبير بين الشخصية الأولى للإمام المهدي في مرحلة الدعوة وإعلان ثورته كانت تتسم بالتدين والاتزان والزهد والتقشف، وقد شهد له بذلك حتى من خالفه الرأي من مثل الشيخ محمد شريف، فقد أشار في قصيدة طويلة نظمها بإيعاز من عبدالقادر باشا سنة 1882م في تكذيب دعوى المهدي.

وكم صام وكم صلى وكم قام ... لم تلا من الله لا زالت مدامعه تجري وكم

وضوء الليل كبر للضحى ... وكم ختم القرآن في سنة الوتر(16)

أما الشخصية الثانية بعد إعلان ثورته وبداية انتصاراته والتي اتسمت بإطلاق العنان لشهواته وملذاته من أطايب الطعام وشرب الخمر* والولع بالنساء مما يجعلنا نتساءل هل كان للإمام المهدي شخصية مزدوجة؟ فيه نوع من الكذب والتشفي من المهدي والثورة المهدية لأنهما وقعا تحت أسره وعُذبا كما ذكرا؟ وهل مؤثرات الشهرة والأضواء وزهو الانتصارات والنجاحات له دور في تغير السلوك الشخصي؟

## حواشي وهوامش الفصل الرابع:

(1)مزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع:

سعاد عثمان بابكر، المرجع السابق.

(2)Siddieg Babiker Ahmed, "The Islamic Archeological Remanis in Sahaba Area, south of Dougla, The 13th international Conference for Nubian Studies, University of Neuchatel, Switzer land,2014.

(3) نهلة مبارك فوراوي «الخليفة محمد شريف بن السيد حامد (1870-1899م)، سيرة حياته ودوره في المهدية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ص 25-26

(4)سلاطين باشا،المصدر سابق، ص89.

(5)حمد عبد الرحمن حمد البيلي، سلف البيلياب وأصهارهم من أعيان العرب، (الخرطوم، 2009م)، ص158.

(6)لمزيد من التفاصيل،راجع: محمد سعيد القدال، المرجع السابق،ص32-58، وعبد العظيم عثمان قمر الدين، فلسفة التربية عند الإمام المهدي ومناهجها، (الخرطوم، (ب.ن)).

(7)إسماعيل عبد القادر الكردفاني،المصدر السابق، ص79-80.

(8)نعوم شقير،المصدرالسابق،ص606.

(9)عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، الشخصية السودانية.. المكونات والمؤثرات والسمات «محاولة في النقد الذاتي»،(الخرطوم:جامعة المغتربين،2011م)، ص90 .

(10)محمد أبوالقاسم حاج حمد،السودان: المأزق التاريخي وآفاق المستقبل، ج1،ط2(بيروت:دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،1996م)،ص84.

(11)نعوم شقير المصدر السابق، ص608.

*سنعتمد في هذا الجزء على ما أورده سلاطين باشا رغم أن هنالك روايات

مماثلة أوردها كتاب أجانب آخرين خوف التكرار مثل إبراهيم فوزي، والملاحظ أنه مثل سلاطين كان أحد الذين حاربوا المهدي ووقعوا تحت أسره، ومن أوصاف إبراهيم فوزي لشخصية المهدي: «كان المهدي صاحب دهاء وحيل، ولكن المتأمل اللبيب يجد في أخلاقه شيئاً من البله والطموح للمعالي...» (راجع إبراهيم فوزي، المصدر السابق، ج2، ص 65.

(12)سلاطين باشا، المصدر السابق، ص256 .

(13)انظر: الهامش،نفس المصدر، ص168.

(14)فيفيان أمينة ناجي، الخليفة عبد الله حياته وسياسته،ترجمة: مكي بشير مصطفي البدري، (الخرطوم: المروة للطباعة والنشر،2011م)، ص13.

(15)(الأب أروفالدر، مصدر سابق، ص 173-177.

*ومن زوجاته الشرعيات أيضاً فاطمة حسين الحجازي وعائشة بنت ادريس الفلاتي (أنظر:نعوم شقير، المصدر السابق،ص608).

(16)نعوم شقير , المصدر السابق، ص -640 641.

*من الملاحظات المهمة أن بعض رجال الدين والشيوخ في دنقلا كانوا يشربون نوع خاص من الخمر، وكذلك يشتهرون بحبهم للطعام الطيب.

## الخاتمة

يذهب عدد من العلماء إلى أن تكوين الشخصية ومحدداتها يمكن أن تندرج في إطارين رئيسين، هما الوراثة والبيئة، ومن خلال هذه الدراسة أوضحنا أن محمد أحمد المهدي كان يمتلك سمات جسدية وعقلية مميزة أهلته للقيادة، حيث اشتهر آل المهدي ببسطة في الجسم والعقل مكّنتهم من احتلال مكانة دينية واجتماعية مرموقة في منطقة لبب ودنقلا بصورة عامة، وهذا الأثر الديني قد لعب دوراً أساسياً في شخصية محمد أحمد المهدي* من حيث الزهد، التواضع، الاعتدال، الجهر بالحق، الاعتدال بالنفس والإصرار والعزيمة والثبات على المبدأ، مما حبب الناس إليه، وسهل له لاحقاً تبنيه لفكرة المهدية.

وقد ساهمت كذلك عدة عوامل طبيعية وثقافية واجتماعية في منطقة لبب في وضع البصمات الأولى في تشكيل شخصية محمد أحمد المهدي في بواكير عمره، وكان لها أثرها الكبير في تحديد سمات شخصيته مستقبلاً، التّي يمكن وصفها وصفاً مجملاً من حيث الأثر الثقافي والاجتماعي لمكان ميلاده ونشأته الأولى بأنه دنقلاوي - كما جاء في كثير من الأوصاف- ولا نعني بهذه الصفة تأطيراً اثنياً وإنما نعني ذلك المجتمع الممّتد بجذوره التاريخية والثقافية إلى مملكة كرمة وما قبلها مروراً بالفترتين المسيحية والإسلامية والمنفتح اجتماعياً وثقافياً بتسامح على الآخرين، مما جعله مجتمع متجدد العطا، متعدّد الاثنيات، في قالب حضاري وثقافي متجانس جعله في موضع الريادة والقيادة، وهذه الشخصية لها قدرة كبيرة على فرض نفسها على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

وهنا نقتبس إضاءة مهمة لفكري أبو القاسم لتشخيص البعد التاريخي والثقافي للإمام محمد أحمد المهدي:»... برغم مرور أكثر من قرن من الزمان مازالت آثار تلك الومضة التاريخية التي أشعلها الدنقلاوي باقية حتى اليوم. ومازالت التساؤلات تكتنفها الغموض حول الوسيلة التي بها...استطاع أحد أبناء دنقلا في أقصي شمال السودان أن يستقطب مختلف القبائل والجماعات من مختلف جهات

السودان ليوحدها خلف دعوته – رغم واقعها القبلي والجهوي- ويفجر بها ثورة بهذا الحجم من الأتساع والشمول، بل وكيف أصبح غرب السودان داراً لهجرته ومهداً لدعوته ومسرحاً لانطلاق الثورة وانتصاراتها الأساسية....»[1]، ثم يقفز الكاتب بعد مقدمات تحليلية في محاولة للوصول إلى إجابة التساؤلات التي طرحها قائلاً:»ولكن الذي لا شك فيه هو أن الصياغة النوبية لوعيّه في أخطر مراحل التكوين واضحة المعالم،الصياغة المقصودة هنا ليست بالضرورة اللسان النوبي أو مكان النشأة إنما هي الذهنية أو اللبنات الأولي لبنية الذاكرة، أو هي قوانين تحرك الدوافع في اللاوعي!! والذاكرة كما هو معلوم تلعب أخطر الأدوار في حفظ الهُوية فعمليات الحفظ تعتمد على موقف الإنسان من الرموز أو بمعني آخر كيفية التعامل مع الواقع ولايهم بعد ذلك شكل اللغة أو الوطن.. أينما ما يحل الإنسان يمكن ان يصوغ قوانين الواقع طبقاً لقوانينه الداخلية ... هنا يكمن سر تفوق المهدي فهو توليفة لعجينة من عناصر مناخات مختلفة ... مزاج نوبي ذو محتوي إسلامي في بوتقة تمت عمليات نضج واختزال وتركيز وذلك تحت وطأة الرياضة الروحية والهجرة الدائمة ...»[2].

وهذه الإضاءة تقودنا للحديث بصورة عامة عن ملامح الشخصية السودانية التي تعددّت مذاهب التعريف بها بتعدد المناهج المستخدمة في دراستها ويمكن أن تجمل أهم آراءها فيالأتي:

1. الشخصية السودانية النوبية.
2. الشخصية السودانية العربية المسلمة.
3. الشخصية السودانية الإفريقيةأو الزنجية.
4. الشخصية السودانية ذات العلاقات والانتماءات المتعددة[3].

ويرى أبوسليم أن الشخصية السودانية خلال مسيرتها التاريخية الطويلة تأثرت بعاملين أساسين:

الأول: البيئات المتعددة والمختلفة، فداخل بيئته الخاصة يظهر الإنسان السوداني ويأخذ صورته المميزة، وينمو فيها ويتطور ويخلق

ثقافته الخاصة ونظمه المحلية التي تنظم حياته وترتب علاقته بغيره .

الثاني: العامل الحضاري الذي يربط بين هذه البيئات وبالتالي يعطي للشخصية بعداً جديداً،وهذا البعد هو محاولة الالتقاء بالغير والعيش معه دون تضحية بالفردية أو المزاج الخاص أو الشعور بالمحلية والاعتزاز بها(4).

ومن خلال هذه الدراسة أتضح لنا أن الظروف الثقافية والاجتماعية لمنطقة معينة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الإنسان وتساهم في دفعها إلى اتجاه معين وبالتالي تؤثر على المجتمع، لذا نوصي بالاهتمام بهذا الجانب في الدراسات الاجتماعية والتاريخية في السودان وخاصة أن هناك الكثير من الشخصّيات التي كان لها دوراً مؤثراً في تاريخ السودان الحديث تشكلت سماتها شخصيتها من خلال انتماءها الثقافي والاجتماعي لمنطقة معينة.

## حواشي وهوامش الخاتمة:

(1)عبد العظيم عثمان، مرجع سابق، ص 59-62.

(2)فكري أحمد أبوا لقاسم، حلفا الجديدة_ الخطيئة والقربان، (الخرطوم: 2000م)، ص 46.

(3)(نفس المرجع،ص48.

(4)لمزيد من التفاصيل، راجع:صبري محمد خليل،عن الشخصية السودانية، دراسة منهجية للمظاهر الفكرية والسلوكية للشخصية السودانية، (الخرطوم:هيئة الخرطوم للصحافة والنشر،2008م)، كتاب الخرطوم الجديدة رقم (14) .

(5)محمد إبراهيم أبوسليم، في الشخصية السودانية، (الخرطوم:مركز أبو سليم للدراسات، 2004م)،ص2.

# المصادر والمراجع

## المصادر باللغة العربية:


(1) أ. ب ثيوبولد، المهدية تاريخ السودان الانجليزي المصري (1881-1889م) ترجمة محمد المصطفي حسين عبدالكريم (أم درمان: مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، 2010م).

(2) الأب، ج، فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم: 1978م).

(3) الأب: جوزيف أورفالدر، عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي، ترجمة: عوض أحمد الضو، ط2 (الخرطوم: 2015م).

(4) إبراهيم فوزي باشا، السودان بين يدي غردون وكتشنر، تقديم: عبد الوهاب بكر، ج1، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2008م).

(5) إبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر 1990م).

(6) أبو صالح الأرمني (ت: 605 هـ/1208م) تاريخ أبو صالح الأرمني، في مسعد، 1972م .

(7) أحمد حسين عبد الرحمن، «الدلالات الآثارية للإمتداد السياسي والديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع والثالث»، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار كلية الآداب جامعة الخرطوم، 2005م.

(8) إسماعيل عبدالقادر الكردفاني، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، ط2، (بيروت: دار الجيل، 1982م).

(9) بشرى أمين حامد، (رجال حول الإمام)، ج1 ,مخطوطة بمكتبة السيد أحمد المهدي الخاصة، ورقة 36.

(10) حمد عبد الرحمن حمد البيلي، سلف البيلياب وأصهارهم من أعيان الأعراب، (الخرطوم، 2009م).

(11) روبن نيلاند، حروب المهدية، ترجمة: عبد القادر عبد الرحمن، ط2، (أبوظبي: 2002م).

(12) رجاء يوسف الحكيم«المديرية الشمالية .. دراسة اقليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا – كلية الآداب، جامعة القاهرة _ فرع الخرطوم فبراير 1972م.

(13) سامية بشير دفع الله، تاريخ الحضارات السودانية منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبته، (الخرطوم،1999م) .

(14) سامية بشير دفع الله،»النوبة.. الأصل والتاريخ»، دراسات افريقية، مركز الدراسات والبحوث والترجمة، جامعة إفريقيا، العالمية، عدد 144، يناير،1996م.
(15) سعاد عثمان بابكر «الدلالات الثقافية والتاريخية للمدافن القديمة موقع لبب غرب (بمنطقة دنقلا)»، رسالة دكتوراه قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2013م.
(16) سلاطين باشا،السيف والنار في السودان،سيرة ذاتية لرجل حارب ثم خدم الدراويش في الفترة من1879م وحتي1895م، تعريب:محمد المصطفي حسن،(الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع،2008م).
(17) سهام علي الجميلي، علم نفس الطفولة (بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، هيئة المعاهدة الفنية، 1990م) .
(18) شارلس بونيه واحمد محمد الحاكم، كرمه مملكة النوبة، تراث افريقي من عهد الفراعنة، ترجمة: صلاح الديم محمد أحمد(الخرطوم:دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م).
(19) الشاطر بصيلي عبدالجليل، معالم تاريخ سودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، (الخرطوم: مكتبة الشريف الأكاديمية، 2009م).
(20) صبري محمد خليل، عن الشخصية السودانية، دراسة منهجية للمظاهرالفكرية والسلوكية للشخصية السودانية، (الخرطوم:هيئة الخرطوم للصحافة والنشر،2008م)، كتاب الخرطوم الجديدة رقم (14) .
(21) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، الشخصية السودانية.. المكونات والمؤثرات والسمات «محاولة في النقد الذاتي»،(الخرطوم:جامعة المغتربين،2011م).
(22) عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة (الخرطوم: سلسلة اصدارات وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7) (2008م) ط2.
(23) عبد العظيم عثمان قمر الدين، فلسفة الإمام المهدي في السودان ومنهجا، (الخرطوم، (ب.ن)).
(24) عوض أحمد حسين (شّبا)، الأصل الاكسومي الحميري للأسرة الملكية في مملكة المقرة (رؤية نقدية تحليلية)، مجلة القلزم , ع2, يونيو 2020م.
(25) .....، خلفاء مملكة المقرة، (الخرطوم، 2012م).
(26) .....، دنقلا والدناقلة، ط2، (الخرطوم، 2011م).
(27) الفاضل محمد خير محمد معروف، 65 عام، وكيل جامعة الرازي،الخرطوم مقابلة بمكتبه بتاريخ 2016/5/3م.

(28) الفاضل محمد سليمان سعيد، مجموعة تاريخ لبب.
(29) فكري أحمد أبوالقاسم، حلفا الجديدة .. الخطيئة والقربان، (الخرطوم: 2000م)
(30) فيفيان أمينة ناجي، الخليفة عبد الله حياته وسياسته، ترجمة: مكي بشير مصطفي البدري، (الخرطوم: المروة للطباعة والنشر،2011م)
(31) فاطنة أحمد علي عمر، الشايقية ومواقفهم من المهدية، (القاهرة: واحة الكتب، 2017م).
(32) فيرغيس نيكول، سيف النبي مهدي السودان، ترجمة: عبد الواحد عبد الله يوسف، ( أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2009م).
(33) مجيد محمد عارف، الانثروبولوجيا التربوية، (بغداد، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م)،
(34) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، (الخرطوم:دار جامعة الخرطوم لنشر، 1970م).
(35) محمد ابراهيم ابو سليم، في الشخصية السودانية، (الخرطوم:مركز أبو سليم للدراسات، 2004م).
(36) محمد ابراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، (القاهرة: دار المصارف، 1983م).
(37) محمد ابو القاسم حاج حمد، السودان: المأزق التاريخي وآفاق المستقبل،ج1،ط2(بيروت:دارابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،1996م).
(38) محمد جلال احمد هاشم، جزيرة صاى .. قصة الحضارة ، (ام درمان: عبدالكريم ميرغني، 2014 م).
(39) محمد سعيد أحمد عبدالله، من تاريخ منطقة دنقلا، طبع على الألة الكاتبة، عام 1978م.
(40) محمد عبدالرحيم، النداء في دفع الافتراء، (القاهرة: مطبعة البرلمان، 1952م).
(41) محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله،(القاهرة: لجنة التأليف والنشر، 1956م).
(42) محمود طلعت، غرائب الزمان في فتح السودان، مطابع السلام بمصر،1314هـ
(43) مصطفي عبد الحميد كاب الرفيق، لفنون التشكيلية في حضارات السودان القديم،(الخرطوم:كتاب الخرطوم الجديدة، سلسلةالـ100كتاب في الثقافة السودانية،2013م).
(44) مصطفي محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص

والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسيطي، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م)..
(45) مقابلة عبد الواحد ساتي محمد حاج وآخرون، 43 عام، عامل، منطقة غرب لببتاريخ 2016/7/15م.
(46) المقريزي (ت845هـ/1445م) ،احمد بن على ، المواعظ والاعتبار بذكر الخططوالآثار، في: مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية ، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي ، (الخرطوم : 1972م) .
(47) نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم (بيروت، دار الجيل، 1981م) .
(48) نهلة مبارك فوراي «الخليفة محمد شريف بن السيد حامد (1870-1899م)، سيرة حياته ودوره في المهدية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.
(49) وليام آدمز، النوبة رواق افريقيا، ترجمة: محجوب التيجاني محمود، ط2، القاهرة، 2005م.
(50) ونستون تشرشل، تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان، ترجمة عز الدين محمود، القاهرة: دار الشروق، 2006م.

## المصادروالمراجع باللغة الانجليزية

(51) A.B Theobald, The mahadiya -Ahistory of Anglo-Egyptian (1881-1899), (London, 1901).F.J, Ohrwalder, the yeas Coptivity in The Mahdis Comp, (London ,1893).

(52) Siddieg Babiker Ahmed, "The Islamic Archeological Remanis in Sahaba Area, south of Dougla, The 13th international Conference for Nubian Studies, University of Neuchatel, Switzer land, 2014.

(53) Strabo,The Geography Of Strabo,Trans:Gones.Ed2,VoLVIII (London,1959).

(54) W.Adams,Nubian Acorrdior to Africa (London, 1977).

رقم الإيداع ((2021/ 0601)